جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

من بلاغة التشبيه والمجاز في التعبير عن الشيطان في الحديث النبوي

إعداد

دكتور: أنس محمد عبد المنعم محمد الغنام

مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق
جامعة الأزهر

البريد الالكتروني: alghnnam١٩٨٠@gmail.com

العدد السابع

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م

من بلاغة التشبيه وا لمجاز في التعبير عن الشيطان في الحديث النبوي

أنس محمد عبد المنعم محمد الغنام

قسم البلاغة والنقد كلية اللغة العربية بالزقازيق جامعة الأزهر

المدينة : الزقازيق البلد : جمهورية مصر العربية

البريد الالكتروني: alghnnam١٩٨٠@gmail.com

ملخص البحث

هذا البحث هو محاولة لتجلية أسرار االبلاغة النبوية، وبيان ما تشتمل عليه من براعة وإبداع، وكان مجال البحث هو التشبيه والمجاز في التعبير عن الشيطان، وذلك لكثرة هذين الأسلوبين عند التعبير عن الشيطان في الحديث النبوي، بالإضافة إلى ما يشتملان عليه من صور تعبيرية بديعة، ومعان بلاغية شريفة.

هذا، وقد اشتمل البحث على :

المقدمة: بينت فيها أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياري له، وخطته، والمنهج الذي سرت عليه فيه.

التمهيد: بينت فيه حقيقة الشيطان، وعلاقته بالإنسان، وعادة العرب في نسبة كل شيء قبيح إلى الشيطان.

الفصل الأول: من بلاغة التشبيه في التعبير عن الشيطان.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التصوير التشبيهي للشيطان.

المبحث الثاني: التصوير التشبيهي بالشيطان.

الفصل الثاني: من بلاغة المجاز في التعبير عن الشيطان.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: من بلاغة المجاز العقلي.

المبحث الثاني: من بلاغة الاستعارة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من بلاغة الاستعارة التصريحية.

المطلب الثاني: من بلاغة الاستعارة التمثيلية.

خاتمة : بينت فيها أهم نتائج هذا البحث.

قائمة : بالمراجع الواردة في هذا البحث.

منهج البحث:

هو المنهج التحليلي، الذي يحلل أساليب التشبيه والمجاز، ويبرز خصائصها البيانية، ودقائقها التعبيرية.

هدف البحث:

البحث يهدف إلى تجلية أسرار البيان النبوي، مع فهم الأحاديث التي ورد فيها الشيطان فهما صحيحا يتوافق مع العقل والمنطق، وحقائق العلم.

أهم نتائج البحث:

الأولى : عدم الأخذ بظواهر الأحاديث إذا كانت تتصادم مع العقل تصادما صريحا، أو لا تتوافق مع حقائق العلم الحديث، التي لا مدخل للشك فيها، وإنما نحملها على المجاز.

الثانية : من عادة العرب نسبة كل شيء مستقبح ومستبشع للشيطان، وقد جرى النبي –ﷺ– على هذه العادة فنسب أشياء قبيحة للشيطان، لا على أنه فعلها، بل لأنه يتسبب في حدوثها، حيث يوسوس للناس بها.

الثالثة: استخدم النبي–ﷺ– الاستعارة أكثر من استخدامه لأسلوب التشبيه والمجاز العقلي، وذلك لأن أسلوب الاستعارة أقوى في تصوير المعنى، وأبلغ في توضيحه.

الكلمات المفتاحية:

القرآن – الحديث – الشيطان – الوسوسة – التشبيه – المجاز– البلاغة – التصوير

From the eloquence of the metaphor and metaphor in the expression of the Devil in the hadith

Anas Muhammad Abdel Moneim Muhammad Al-Ghannam
Department of:Lecturer at Department of Rhetoric and Criticism
faculty of: Arabic Language in Zagazig
University: al-azhar city: Kafr El-Sheik country: Arab Republic of Egypt
EMAIL: **alghnnam١٩٨٠@gmail.com**

Research Summary

This research is an attempt to reveal the secrets of the prophetic eloquence, and to show the ingenuity and creativity that it contains, and the field of research was the simile and metaphor in the expression of the Devil, due to the abundance of these two methods when expressing the Devil in the prophetic hadith, in addition to the exquisite expressive images And an honorable rhetorical mean. that they contain.

And the research plan included:

Preface: In it I showed the truth about Satan, and his relationship with man, and the Arabs' habit of attributing everything ugly to .Satan

Chapter One: From the eloquence of Simile in expressing Satan. It contains two topics:

The first topic: Simile depiction of the devil.

The second topic: The simile depiction with the Devil.

Chapter Two: From the eloquence of the metaphor in the expression of the devil.

It contains two topics:

The first topic: From the eloquence of the mental metaphor.

The second topic: from eloquence of figure.

and it has two Sub-topic.

The first Sub-topic: from the eloquence of declarative figure.

The second Sub-topic : from the eloquence of representative figure.

Conclusion: I showed the most important results of this research.

List: with References included in this research.

Research method:

It is the analytical method, which analyzes the methods of simile and metaphor, and highlights their pictorial characteristics and expressive feature

Research objective:

The research aims to reveal the secrets of the prophetic rhetoric, with an understanding of the hadiths in which the devil was mentioned in true understanding consistent with reason, logic, and the facts of science.

Main search results:

The first: Not to consider the true meanings of the hadiths if they clearly clash with the mind, or they do not coincide with the facts of .modern science. Rather, we understand it as a metaphor

The second: The Prophet attributed ugly things to Satan, not because he did them, but because he caused them to happen, by whispering to people about them.

key words: The Quran - the hadith – Satan – Expressive – Simile – Metaphor – Figure - Rhetoric

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أمرنا بمخالفة الشيطان، ونهانا عن اتباع خطواته، وجعل السعادة في حفظ القلب من وساوسه، ومدافعة خطراته. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح من نطق بلسان، وأبلغ من لهج ببيان، وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

فإن الشيطان هو ألد أعداء الإنسان، وأكبر خصومه على مر العمر وتوالي الأزمان؛ لذلك يتمنى كيده بكل السبل، ويبغي إغواءه بكل الحيل، فهو لا يترك طريقا لإضلاله إلا سلكها، ولا وسيلة لإيقاعه في الباطل إلا فعلها، وقد صرح الشيطان بهذه العداوة، وأعلن بهذه الخصومة عندما قال بلهجة المعاند، ولسان المكايد :﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾[1]، فهذه الخصومة هي هدفه الذي يعيش له، وغايته التي خلق من أجلها.

لذلك أكثر النبي – ﷺ – من تحذيرنا من وسوسته، وتخويفنا من اتباع خطواته؛ لأن فيها الضلال المبين في الدنيا، والخسران الأكيد في الآخرة.

وقد سلك النبي – ﷺ – في تحذيرنا منه كل طريق، واتبع في تخويفنا منه كل سبيل، واتخذ من الأساليب البيانية الرائقة، والطرق التعبيرية الرائعة ما يوضح عداوته، ويظهر خطورته.

فالشيطان ووسوسته غيب من الغيوب الخافية عنا، غير المشاهدة بعيوننا، والملموسة بحواسنا؛ لذلك كان من الضرورة إخراجه من عالم الغيب المخبوء إلى عالم الشهادة المحسوس، وتصويره في صورة تراها الأعين، وتسمعها الأذن، صورة توضح المعنى وتبرزه، وتظهر سماته وتؤكده، وهذا هو السر وراء كثرة التشبيهات والمجازات في أحاديث النبي – ﷺ – التي تتحدث عن الشيطان، فالنفس

(١) سورة : الأعراف، آية: ١٦–١٧

دائمًا أميل إلى المشاهد المحسوسة أكثر من ميلها إلى الغيب المجهول، وليس هناك أعظم من عداوة الشيطان للإنسان؛ لذلك اهتم النبي- ﷺ- اهتمامًا بالغًا بأن يسخر أساليبه البيانية، وطرائقه التعبيرية؛ لكي يجسد هذه العداوة، ويظهر ملامحها، ويحدد سماتها في صور بلاغية قد بلغت من الإبداع ذروته، ومن الإمتاع غايته.

ولقد كثرت هذه الصور من تشبيه ومجاز في أحاديث النبي- ﷺ- ؛ لذلك كان هذا داعيا لقلبي، وحافزا لعقلي أن أدرس هذه الصور، وأن أبين وجه البلاغة فيها، وإظهار ما تنطوي عليه من إبداع ظاهر، وبراعة واضحة هي أثر من آثار البلاغة النبوية التي لا نظير لإبداعها، ولا مثيل لبراعتها بين البشر. **وهذا هو السبب الأول الذي دعاني لدراسة هذه الصور.**

أما السبب الثاني: فهو أن كثيرًا من الأحاديث التي ورد فيها ذكر الشيطان فهمت فهما خاطئا، وكان لهذا الفهم الخاطئ الأثر السيء على ديننا، حيث رُمِي بأنه دين الخرافة، وأنه دين يخالف العقل والمنطق، ويعارض ما تقرر من حقائق العلم، التي أصبحت من الضرورات التي لا شك فيها.

ففي هذه الأحاديث نسب النبي- ﷺ- كثيرًا من الأعمال للشيطان، مثل أنه يجري من الإنسان مجرى الدم، وأنه يبيت على خيشوم الإنسان، وأنه يبول في أذن النائم عن صلاة الفجر، وأنه يركض رحم المرأة برجله فينزل منها الدم، وأن الكلب الأسود شيطان، وأن الإبل خلقت من الشياطين، إلى غير ذلك من الأحاديث التي ستأتي في هذا البحث.

وقد أخذ كثير من العلماء بظواهر هذه الأحاديث، وجعلوا الشيطان على الحقيقة يفعل هذا بالإنسان، وأنه يدخل جسده، ويعبث بعقله، وأن الكلب الأسود على الحقيقة هو شيطان، وكذلك الإبل قد خلقت بالفعل من الشياطين، وبالطبع هذه الآراء ظاهرة البطلان، واضحة الفساد، وهي تخالف حقائق العلم الثابتة مخالفة صريحة، كما أنها تناقض العقل والمنطق تناقضًا واضحًا، وإذا كان لهؤلاء العلماء العذر في فهمهم لهذه الأحاديث، وذهابهم لهذه الآراء؛ نظرًا لعدم تطور العلوم في زمانهم، فإنه أصبح من الضروري في هذا العصر أن نبين وجه الحق في هذه الأحاديث، وأن نفهمها فهمًا صحيحًا، يتماشى مع المنطق، ويتلاءم مع العقل، ويتناغم مع حقائق العلم الحديث؛ حتى لا ندع

فرصة لأعداء هذا الدين وكارهيه أن يتطاولوا عليه، ويرموه بالنقائص، ويصفوه بالمعايب، وأنه دين الخرافة، وأنه ضد العقل والمنطق.

وقد كانت عُدَّتي في فهم هذه الأحاديث فهمًا صحيحًا هي التشبيه والمجاز، فهذان الأسلوبان هما الطريقان الوحيدان؛ لكي نفهم الأحاديث على حقيقتها، وذلك بأن نحملها على غير ظواهرها؛ لأن الأخذ بظواهر الأحاديث دون حملها على التشبيه أو المجاز هو الذي أتى بهذه الآراء الشاذة، والأقوال الضعيفة، ومن هنا تنبع أهمية البلاغة وعلومها في الحفاظ على الدين، والدفاع عنه، والذود عن حياضه ضد هجمات الملحدين، وأباطيل العلمانيين، الذين ما فتئوا يرمون بها الإسلام، ويزرون بها على علمائه، ويشغبون بها على تراثه.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، إنه محاولة على قدر الطاقة لتحقيق الإمتاع للعاطفة، وتغذية الإحساس بالجمال، جمال الأسلوب النبوي البديع، وصوره التعبيرية الأخاذة التي تأسر القلب بجمالها، وتستولي على النفس بروعتها، كما أنه محاولة لتحقيق الإقناع للعقل، وتسديد الخطى للفكر، الذي قد يفهم الأحاديث فهما مغلوطا، يترتب عليه الإضرار بالدين، والتنقص من شأنه، والإزراء بمكانته.

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام أنني لا أقصد بالشيطان هذه الكلمة المفردة، وأن الأحاديث الواردة في هذا البحث متعلقة بذكر كلمة (الشيطان) فقط، وإنما أقصد جنس الشيطان، هذا الشيطان الذي تمرد على خالقه، فعصى أمره، وأخذ يعيث في الأرض فسادا بإضلال الناس، وإبعادهم عن طاعة ربهم؛ لذلك سوف تكون الأحاديث- موطن الدراسة- متعلقة بذكر الشيطان سواء أكان بلفظ المفرد، أو الجمع (شياطين)، أو الجني، أو العفريت، وإنما عنونت هذا البحث بلفظ (الشيطان)؛ لأنه الأكثر ورودا في هذه الأحاديث دون غيره، وسوف يأتي الفرق بين الجن ، والشيطان، والعفريت في التمهيد من هذا البحث.

كما أنني أقتصرت على أسلوبَي التشبيه والمجاز في هذا البحث دون الكناية؛ لأن أكثر الأحاديث التي ورد فيها ذكر الشيطان لم تشتمل على أسلوب الكناية- على ما أعلم-. أما الأحاديث التي يمكن

حملها على الكناية فهي قليلة جدا، كما أن أسلوب الكناية فيها أتى تبعا للاستعارة الواردة في هذه الأحاديث، لذلك اكتفيت ببيان الكناية أثناء تعرضي لتحليل الاستعارة.

وقد فعلت الشيء نفسه مع المجاز المرسل، حيث إن هناك بعض الأحاديث التي ورد فيها المجاز المرسل، ولكنه أتى مقرونا أحيانا بالتشبيه أو بالاستعارة؛ لذلك بينت وجه بلاغته أثناء الحديث عن التشبيه أو الاستعارة، وإنما فعلت ذلك تقليلا للأقسام، ومنعا لتقطيع الحديث في أكثر من موضع.

هذا، وقد جمعت هذه الأحاديث من دواوين السنة المعروفة، وكتبها المشهورة، سواء أكانت في صحيحي البخاري ومسلم، أم في غيرهما. وقد اقتصرت على الأحاديث الصحيحة فقط، والتي صححها علماء الحديث، ورجحوا نسبتها إلى رسول الله- ﷺ- أما الأحاديث الضعيفة فقد استبعدتها؛ لأنه يغلب على الظن أنها ليست من كلام رسول الله ﷺ .

هذا، وقد جاء البحث في: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

أما **المقدمة**: فقد بينت فيها أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياري له، وخطته، والمنهج الذي سرت عليه فيه.

التمهيد: بينت فيه حقيقة الشيطان، وعلاقته بالإنسان، وعادة العرب في نسبة كل شيء قبيح إلى الشيطان.

الفصل الأول: من بلاغة التشبيه في التعبير عن الشيطان.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التصوير التشبيهي للشيطان.

المبحث الثاني: التصوير التشبيهي بالشيطان.

الفصل الثاني: من بلاغة المجاز في التعبير عن الشيطان.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: من بلاغة المجاز العقلي.

المبحث الثاني: من بلاغة الاستعارة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من بلاغة الاستعارة التصريحية.

المطلب الثاني: من بلاغة الاستعارة التمثيلية.

خاتمة: بينت فيها أهم نتائج هذا البحث.

قائمة: بالمراجع الواردة في هذا البحث.

أما المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث فهو المنهج التحليلي، الـذي يحلـل أسـاليب التشـبيه والمجاز، ويبرز خصائصها البيانية، ودقائقها التعبيرية، والتي لها أكبر الأثر في توضيح المعنى وإبرازه.

والحمد لله رب العالمين

تمهيد

حتى نستطيع فهم الأحاديث التي ورد فيها ذكر الشيطان فهمًا صحيحًا، فهمًا يتماشى مع العقل والمنطق لابد من معرفة حقيقة الشيطان، وما صفاته؟ وما علاقته بالإنسان؟ وهل له القدرة على إيذاء الإنسان، أو التمكن من جسمه وعقله؟ أو أن علاقته به لا تتعدى الوسوسة والإغواء؟ وما هي عادة العرب في نظرتهم إلى الشيطان؟

لا بد من الإجابة على هذه الأسئلة إجابة صحيحة أولا، قبل التعامل مع الأحاديث التي ورد فيها ذكر الشيطان؛ لأن كثيرا من هذه الأحاديث فُهمت فهما خاطئا، حيث أخذ كثير من العلماء بظواهر هذه الأحاديث، مما ترتب عليه أنهم نسبوا أفعالًا للشيطان، لا تتوافق مع العقل والمنطق، بل وتتصادم تصادمًا صريحًا مع العلم الحديث، وحقائقه الثابتة.

لذلك يجب علينا أن نفهم أولًا حقيقة الشياطين، ونفهم علاقتهم بالإنسان، وأن يكون هذا الفهم غير متعارض مع العلم الحديث، ومعطياته التي أصبحت من قبيل الحقائق العلمية التي لا تقبل الشك، لأن الأحاديث الصحيحة وحي من عند الله-عز وجل-، والحقائق العلمية في الكون هي أثر من آثار قدرة الله؛ لذلك لا يتعارضان أبدا، وإذا كان هناك ثمة تعارض ظاهري، هنا يجب تأويل الأحاديث، وحملها على غير ظاهرها، حتى تتماشى مع حقائق العلم القطعية التي لا مدخل للشك فيها.

أولا: حقيقة الشيطان:

الشيطان في لغة العرب مأخوذ من الفعل(شَطَنَ) أي: بَعُد، يقول ابن منظور": الشاطِنُ: الْبَعِيدُ عَنِ الْحَقِّ... وشَطَنَتِ الدارُ تَشْطُنُ شُطوناً: بَعُدَت. وَنِيَّةٌ شَطونٌ: بَعِيدَةٌ، وغزْوة شَطونٌ كَذَلِكَ. والشَّطِينُ: الْبَعِيدُ. ... والشاطِنُ: الْخَبِيثُ. والشَّيْطانُ: فَيْعال مِنْ شَطَنَ إِذا بَعُدَ فِيمَنْ جَعَلَ النُّونَ أَصلًا، وَقَوْلُهُمُ الشَّيَاطِينُ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ. وَالشَّيْطَانُ: مَعْرُوفٌ، وَكُلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ والإِنس وَالدَّوَابِّ شَيْطَانٌ"[1].

(١) لسان العرب، لجمال الدين بن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، ١٣/ ٢٣٨ .

فالشيطان إذا هو العاتي المتمرد من الجن، فالجن عالم من العوالم التي خلقها الله -عز وجل- منهم الصالح ومنهم الطالح، منهم المؤمن ومنهم الكافر، لكن الكافر منهم والمتمرد، والذي أبعد النجعة في ظلمه وغيه، يسمى شيطانا؛ لبعده عن الحق، وتنكبه عن الصراط المستقيم.

أما العفريت: فهو أيضا من الجن، وهو- كما قال الفراء- "القوي النافذ"[1]. فالعفريت فيه قوة واقتدار، وذكاء ودهاء يستطيع به أن يفعل من الأفعال ما لا يقدر عليه عامة الجن، وقد كان في قدرته أن يأتي بعرش بلقيس لسيدنا سليمان- عليه السلام- قبل أن ينفض مجلسه، ويقوم من مقامه، كما قال - تعالى- :﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾[2].

أما إبليس- لعنه الله- فهو أيضا من الجن، كما قال- تعالى- :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ...الآية ﴾[3]، وهو رأس الشياطين وإمامهم؛ لأنه أتى من العتو والظلم، واقترف من البغي والكبر ما شارف النهاية، وأوفى على الغاية.

وإنما أُمر بالسجود لآدم مع الملائكة؛ لأنه كان في زمرتهم، ويعـــــــبد الله - عز وجل- معهم.

إذا الجن أعم، والشيطان والعفريت أخص، وإنما سموا جنا لاستتارهم، وعدم رؤيتهم، يقول ابن منظور :" جنن: جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً: سَتَره. وكلُّ شَيْءٍ سُتر عَنْكَ فَقَدْ جُنَّ عَنْكَ. وجَنَّه الليلُ يَجُنُّه جَنّاً

---

(١) معاني القرآن، للفراء ،المحقق:أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر:المصرية للتأليف والترجمة ،الطبعة: الأولى، ٢/ ٢٩٤

(٢) سورة : النمل، آية:٣٩

(٣) سورة : الكهف، آية:٥٠

وجُنوناً وجَنَّ عَلَيْهِ يَجُنُّ، بِالضَّمِّ، جُنوناً وأَجَنَّه: سَتَره...وَبِهِ سُمِّيَ الجِنُّ لاسْتِتارِهم واخْتِفائهم عَنِ الأَبصار"[1].

وهؤلاء الجن لهم عقول ووعي وإدراك؛ لذلك هم مكلفون بعبادة الله- عز وجل-. قال- تعالى- : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، كما أنهم مكلفون بالإيمان بنبوة سيدنا محمد- ﷺ- واتباع شريعته، وقد سمع كثير منهم القرآن الكريم، وآمنوا به، كما ورد في قوله - تعالى- :﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ... الآيات ﴾[3].

وهم قوم يأكلون ويشربون، كما وردت بذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله - ﷺ- كما أنهم يتزاوجون، ويتكاثرون[4].

أما العنصر الذي خلقوا منه فهو النار، يقول ابن حزم في بيان حقيقة الجن:" وهم أجسام رقاق صافية هوائية، لا ألوان لهم، وعنصرهم النار، كما أن عنصرنا التراب، وبذلك جاء القرآن. قال الله - عز وجل-: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ "[5][6].

---

(١) لسان العرب ١٣/ ٩٢

(٢) سورة : الذاريات، آية:٥٦

(٣) سورة : الأحقاف، آية:٢٩-٣٢

(٤) ينظر : عالم الجن والشياطين، المؤلف: عمر بن سليمان بن الأشقر الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت،الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، ١٨-٢٠

(٥) سورة : الحجر، آية :٢٧

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: ابن حزم الأندلسي القرطبي، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: بدون، ٥/ ٩

ثانيًا: علاقته بالإنسان:

أما علاقته بالإنسان فهناك قدر متفق عليه بين عامة المسلمين، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة، وهو الوسوسة والإغواء، فالله- سبحانه وتعالى- أعطى الشيطان القدرة على الوسوسة للإنسان بالباطل، وتزيين الشر له، وإغوائه به، حتى يسير في مسالك الهوى، ودروب الضلال، وبهذا يتحقق الابتلاء بالشر، ويتم الاختبار بالهوى في هذه الحياة، وهذا الاختبار هو الأساس الذي قامت عليه هذه الحياة، وتم بموجبه إيجاد الخلق. قال - تعالى-: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (١).

أما المختلف فيه فهو هل للشيطان قدرة على إيذاء الإنسان إيذاءً جسديا؟ كأن يدخل جسده ، أو يتحكم في عقله، أو يمسه بصرع أو جنون.

هذه المسألة اختلف فيها العلماء اختلافًا عظيمًا، فذهب كثير من العلماء إلى أن الشيطان له القدرة على ذلك، واستدلوا بآيات وأحاديث ظاهرها يؤيد ما ذهبوا إليه، فمن ذلك قوله - تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ... الآية ﴾ (٢)، ومن الأحاديث قوله - ﷺ-: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ"(٣)، وحديث: " إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ" (٤)، وغيرها من الأحاديث التي سيرد معظمها في هذا البحث، والتي من خلاله سيتضح أن معانيها ليست على الحقيقة ، وإنما كلها من قبيل المجاز؛ لذلك لا تعد دليلًا قاطعًا على ما ذهبوا إليه.

---

(١) سورة : الملك، آية :٢

(٢) سورة : البقرة، آية :٢٧٥

(٣) سيأتي تخريجه في صـ ١٦ من البحث.

(٤) سيأتي تخريجه في صـ ٣٩ من البحث.

وذهب علماء آخرون إلى أن الشيطان ليست له قدرة مطلقا على أن يؤذى الإنسان، أو يسيطر على جسده، وإنما المقدور له على الإنسان هو الوسوسة والإغواء فقط[1]، ويبدو أن هذا الرأي هو الأقرب للصواب. والله أعلم.

والذي يدل على صحة هذا الرأي أن الشياطين لو كانت بالفعل لها قدرة على إيذاء البشر لحولت حياتهم إلى جحيم لا يطاق، واستطاعت ان تفعل بهم الأفاعيل من خراب وتدمير، وحرق وقتل وغيرها، ولكن هذا لم يحدث، والواقع يؤكده. كما أن الشياطين مخلوقة من عنصر غير العنصر الذي خلق منه البشر؛ لذلك عقلا لا يستطيع الشيطان أن يدخل جسد الإنسان، أو أن يتحكم في عقله أو أعضائه؛ لاختلاف عنصر كل منهما عن الآخر، كما أن دخول الشيطان بدن الإنسان، وتحكمه فيه ينافي تكريم الله- عز وجل- للإنسان. قال- تعالى- :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2]. فإن دخول الشيطان بدن الإنسان والعبث به، وتخليط عقله، أو مسه بجنون أو صرع ينافي هذا التكريم بالقطع.

قد يقول قائل: قد وردت آية صريحة تبين مس الشيطان للإنسان، وإصابته بالتخبط والجنون، وهى قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ... الآية ﴾[3].

والجواب أن المس هنا ليس على حقيقته. يقول الزمخشري:" وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء، فورد

---

(١) ينظر : عالم الجن والشياطين ٦٢-٦٣

(٢) سورة : الإسراء، آية: ٧٠

(٣) سورة : البقرة، آية :٢٧٥

على ما كانوا يعتقدون"[1]، فالآية وردت على حسب اعتقاد العرب، وما به يؤمنون، وهو أن الجن تصرع الإنسان، وتصيبه بالخبل والجنون، فالآية إذا ليست على حقيقتها، وإنما أتت على حسب ما يعتقد العرب؛ لأن القرآن نزل بلسانهم، وأتى على أساليبهم.

ومما يدل أيضا على أن المس لا يقصد به الخبل والتخبط والجنون على الحقيقة، أن هناك آيات ورد فيها نسبة المس للشيطان، وكان المقصود من هذا المس هو الوسوسة لا غير، مثل قوله- تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[2]، فالطائف هو الوسوسة[3]، وقوله :﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[4]، فهل يعقل أن الشيطان يمس نبي الله أيوب- عليه السلام- بالخبل والصرع والجنون؟! لكن المس هنا هو الوسوسة، فوسوسة الشيطان لأيوب- عليه السلام- كانت بأن يقنط من رحمة الله- عز وجل- أو يتسخط على قضائه، فجعلها وكأنها عذاب ألمّ بقلبه، أو مرض تسلسل إلى نفسه[5].

---

(١) الكشـــــاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاســـــــم محمود الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ ١/ ٣٢٠

(٢) سورة : الأعراف، آية: ٢٠١

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحـــــــــــــسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ صـ٤٢٨

(٤) سورة : ص، آية: ٤١

(٥) ينظر : التحـــــــرير والتنـــــــــوير، المؤلف : محمـــــــد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ ٢٣/ ٢٧٠

هذه الآية هي أظهر ما استدل به من قالوا بجواز أن يمس الشيطان الإنسان، أو أن يستولي على عقله وجسده، فيصيبه بأذى أو جنون، وهي كما ترى ليست ذات دلالة قاطعة فيما ذهبوا إليه، حتى يُستدل بها على أمر خطير مثل هذا. وهناك أدلة أخرى استدل بها المجوزون، لكنها لا تبلغ قوة هذه الآية، والمقام لا يتسع لذكر كل هذه الأدلة، وإنما يكفي أن أبين أن الأصح في الدليل، والأقرب للعقل والمنطق أن الشيطان لا سبيل له على الإنسان إلا بالوسوسة والإغواء، وليس في مقدرته أكثر من ذلك.

يقول الإمام الرازي: " الشيطان لا قدرة له ألبتّة على إيقاع الناس في الأمراض والآلام، والدليل عليه وجوه. الأول: أنا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان، فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان، ولعل كل ما حصل عندنا من الخيرات والسعادات، فقد حصل بفعل الشيطان، وحينئذٍ لا يكون لنا سبيل إلى أن نعرف أن معطي الحياة والموت والصحة والسقم، هو الله تعالى. الثاني: أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الأنبياء والأولياء؟ ولم لا يخرب دورهم؟ ولم لا يقتل أولادهم؟. الثالث: أنه تعالى حكى عن الشيطان أنه قال :﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ... الآية ﴾[1]، فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر إلا على إلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة "[2][3].

---

(١) سورة : إبراهيم، آية: ٢٢

(٢) التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٢٦/ ٣٩٧

(٣) قد يقول قائل: وما تفسير ما نراه من أشخاص عندما يُقرأ عليهم القرآن نجدهم يصرعون، أو تتغير نبرات صوتهم، أو تضطرب أحوالهم، ويزعم الشيخ المعالج أن هذا من أثر تلبس الجن به، وأنه ينطق على لسانه. والإجابة على هذا التساؤل نجدها عند الطب النفسي، الذي بين سبب حدوث مثل هذه الاضطرابات، وشخصها تشخيصا علميا قائما على دراسات وأبحاث، قامت على أناس ظهرت عليهم مثل هذه = الاضطرابات، وبالتالي هي أمراض نفسية، لها أسبابها، ولها طرق لعلاجها؛ لذلك لا تعتبر مثل هذه الأحوال دليلا على تلبس الشيطان بالإنسان، ودخوله جسده، والتحكم في عقله، والنطق بلسانه. ينظر : سلسلة مقالات (حقيقة المس الشيطاني)، د/ محمد كمال الشريف على موقع (الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية). https://www.maganin.com/default.asp

ثالثا: عادة العرب في نسبة الأشياء القبيحة للشيطان:

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام، وله صلة بفهمنا للأحاديث الوارد فيها الشيطان فهمًا صحيحًا، أن من عادة العرب أنها تنسب كل شئ قبيح للشيطان، فالشيطان أصبح في مخيلتهم رمزًا لكل مستقبح، وعنوانًا لكل مستبشع، وفي هذا يقول الزجاج:" الشيء إذا استقبح شُبِّهَ بالشيطان، فقيل: كأنَّه وجه شيطانٍ، وكأنه رأسُ شيطان، والشيطان لا يُرىٰ، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، لو رُئِيَ لرئي في أقبح صورة. وَمِثْلُهُ قَوْلُ إِمرئِ الْقَيْسِ:

أَيَقْتُلُني، والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي، ... ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أَغوالِ؟

ولم يُرَ الغولُ قط ولا أنيابُها، ولكن التمثيل بما يستقبح أبلغ في باب المذكر يمثل بالشيطان، وفي باب ما يستقبح في المؤنث يشبه بالغول "[1].

وقد جرىٰ النبي – ﷺ– علىٰ هذه العادة فشبه مثلا الكلب الأسود بأنه شيطان[2]، كما نسب – أيضا– أشياء كثيرة للشيطان، لا علىٰ أنه فعلها، وقام بها، بل لأنه متسبب فيها بوسوسته، كما أنه يغري الناس بفعلها، والوقوع فيها، كنسبته الطعام المُهدَر، والتفرق والبعد عن الجماعة إلىٰ الشيطان، إلىٰ غير ذلك من الأحاديث التي سترد في هذا البحث[3].

كل ما سبق يعد هو الأساس الذي سنبني عليه فهمنا للأحاديث الوارد فيها ذكر الشيطان، وبالتالى سيكون فهمًا منضبطًا بضوابط العقل، متماشيًا مع قواعد المنطق، بعيدًا عن الآراء الغريبة، والأقوال الشاذة التي تصادم العلم، وحقائقه الثابتة تصادمًا صريحًا، وبذلك نحفظ لديننا منزلته، ونصون له مكانته، حتىٰ لا يطعن فيه الطاعنون، ويشغب عليه الكارهون.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج ،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت،الطبعة:الأولىٰ ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨م ٤/ ٣٠٦-٣٠٧

(٢) ينظر : صـ ٢٩ من البحث

(٣) ينظر : مبحث المجاز العقلي، صـ ٣٨ من البحث

الفصل الأول
من بلاغة التشبيه في التعبير عن الشيطان

المبحث الأول

التصوير التشبيهي للشيطان

وهي التشبيهات التي أراد النبي – ﷺ– من خلالها تصوير الشيطان وما يفعله ببني الإنسان، حيث اختار له من الصور التشبيهية ما يوضح كيده، ويظهر خبثه، هذه الصور التي بينت كيف تتسلل وساوسه إلى النفوس، وتتغلغل في القلوب؛ لذلك كان الشيطان في هذه الأحاديث هو المشبه.

وقد ورد هذا التشبيه في سبعة أحاديث.

وأول هذه الأحاديث:

عن صفية بنت حُيَيّ، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلًا، فحدثته، ثم قمت، فانقلبت، فقام معي ليقلِبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي– صلى الله عليه وسلم–: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي». فقالا سبحان الله يا رسول الله. قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا»[1].

ففي هذا الحديث الشريف يصور النبي – ﷺ– مدى تمكن الشيطان من الإنسان، ومدى استيلائه عليه بوسوسته ، وقد اختار لبيان هذا التمكن هذه الصورة التشبيهية الرائعة، وهي صورة الدم الذي يسري في العروق، ويتمكن من الأوصال، فوساوس الشيطان وهواجسه بالفعل قد تتمكن من الإنسان، فتتغلغل في نفسه، وتسري في قلبه، فتختلط به اختلاط الدم بالعروق.

---

(١) رواه: البخاري(٢٠٣٨)، كتاب (الاعتكاف)، ومسلم (٢١٧٥)، كتاب (السلام).

وهذا التشبيه من قبيل التشبيه البليغ، المحذوف الأداة ووجه الشبه؛ ليكون أبلغ في بيان قوة المشابهة بين جريان وساوس الشيطان وجريان الدم، حتى لكأن هذه الوساوس قد تجسدت دمًا يجري في عروق الإنسان، ويسري في أحشائه[1].

وقد اختار النبي – ﷺ– الدم دون غيره؛ لأن الدم هو أشد التصاقا بالأعضاء، وأعظم تمكنًا منها من غيره، كما أنه يسري في كل جزء من أجزاء الجسد، ويصل إلى كل طرف من أطرافه؛ لذلك كان التشبيه بالدم أدل على التمكن التام لوساوس الشيطان من الإنسان، وغلبتها له.

ونلحظ – أيضا – أن النبي – ﷺ– جعل الشيطان هو الذي يجري من الإنسان، مع أن المقصود هو وسوسته التي تنفذ إلى قلبه، وتتمكن من نفسه؛ لأن الشيطان على الحقيقة لا يجري في الإنسان، وإنما هي وساوسه، وهذا على سبيل المجاز المرسل، وعلاقته السببية؛ لأن الشيطان هو سبب هذه الوسوسة، وهي صورة رائعة تخيل إليك وكأن الشيطان بذاته هو الذي يسري في قلب الإنسان وجوارحه، وهذا فيه من المبالغة الرائعة التي تناسب مقام التحذير من الشيطان وكيده.

كما استعار النبي – ﷺ– (الجري) لوصول وساوس الشيطان إلى القلب وسريانها فيه، حتى يخيل إليك إن هذه الوساوس تندفع في طريقها ، وتسلك سبيلها إلى قلب الإنسان دون عوائق تصدها، أو حواجز تقف دونها ، فهل كالسيل المندفع الذي لايقف أمامه شيء، وهذا يدل على قوة هذه الوساوس وشدتها، كما يدل على ضعف الإنسان أمامها، والذي لا يستطيع مقاومتها أو مدافعتها.

هذا بالإضافة إلى أن التعبير بحرف الجر (من) بدل (في) في قوله (يجري من الإنسان) جاء على خلاف الإصل؛ والأصل : أن يتعدى الفعل (يجري) بحرف الجر (في)، وليس (من)[2].

---

(١) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير،المؤلف: عبد الرؤوف المناوي
الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه ٢/ ٣٥٨

(٢) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين الملا الهروي القاري
الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ١/ ١٣٩

وسر هذا العدول عن الأصل؛ لكي يدل على معنى التمكن ، فالفعل (تمكن) يتعدى بحرف الجر (من) ، وليس (في)، وهذا التعبير له أثر واضح في بيان مدى تمكن الشيطان من الإنسان، ومدى سيطرته عليه.

وقد ختم النبي – ﷺ– حديثه بصورة بيانية أخرى لا تقل روعة عن سابقتها، وهي تصوير الشيطان في صورة من يقذف شيئا في قلب من يوسوس له، فقد استعار النبي – ﷺ– (القذف) للوسوسة؛ ليكون أبلغ فى تصوير تمكن الشيطان من الإنسان، وقوة غلبته له، وكأن وساوسه ما هي إلا قذائف يقذف بها قلب الإنسان، حتى تتمكن منه تمكن القذيفة من مقذوفها، فلا يستطيع منها فرارًا ، ولا عنها فكاكًا.

إن كل هذه الدقائق التعبيرية الرائعة ، والأساليب البيانية الرائقة تعاونت على إخراج صورة متكاملة بلغت من الروعة غايتها ، ومن البراعة نهايتها صورة تصور الشيطان وما يفعله بالإنسان، صورة تأخذ بمجامع قلبك ، وتستولي على أقطار نفسك، وهذه آية من آيات الإبداع ، وعجيبة من عجائب الإمتاع ، والتي لم تعرف إلا لمن بلغ ذروة البيان محمد – ﷺ– .

ومع أن الحديث واضح في أنه تصوير للشيطان ووساوسه لكن بعض العلماء قد حملوه على الحقيقة[1]، وقالوا : إنَّ الشيطان بالفعل يسري في أوصال الإنسان وأحشائه، وأن الله– عز وجل – أعطاه القدرة على ذلك، ولكن هذا بالطبع ليس عليه دليل، بل إن العقل يرفضه، والحس يدحضه. فالنبي – ﷺ– في هذا الحديث يحكم حكما عاما على أن الشيطان يتمكن من جنس الإنسان تمكنا تاما أشبه بتمكن الدم من العروق، وهذا لايتصور وقوعه إلا بالوساوس، فهي بالفعل التي يفعلها الشيطان بعموم البشر ، وهي التي أقدر الله– عز وجل– الشيطان على فعلها، أما الدخول في أجساد عموم البشر والعبث بها، فهذا مما يرفضه العقل، كما أنه مجاف للواقع والحس، حيث نرى الملايين من

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ه ٤/ ٢٨٠

البشر وليس هناك أي ظواهر تظهر عليهم، هي أثر من آثار دخول الشيطان في أجسادهم، وتسلطهم على أبدانهم.

لذلك كان الأرجح هو أن الحديث كله من باب التصوير لتسلط الشيطان على الإنسان بالوسوسة بالأباطيل، واقتداره على أن يفعل به عن طريقها الأفاعيل.

الحديث الثاني:

عن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ» (١).

في هذا الحديث دعوة إلى وحدة الكلمة، واجتماع الصف؛ لأن القوة في الائتلاف، والضعف في الفرقة والاختلاف، وقد أتى النبي – ﷺ– بتشبيه غاية في الروعة والإبداع؛ ليدل على الضعف البالغ، والوهن التام لكل من يخرج عن الجماعة، وينأى بنفسه عن الالتئام في صفها، وهو تشبيه هذا الخارج عن الجماعة بالشاة التي شردت عن القطيع، وأبعدت النجعة حتى صارت في مكان قصي، فتلقفتها الذئاب الضارية، والكواسر العادية، فكانت فريسة سهلة لها، أذهبت بها جوعها، وسدت بها فاقتها(٢).

والذئب هنا ما هو إلا الشيطان، الذي يستولى على الإنسان المبتعد عن الجماعة، فيفترس قلبه، وينهب نفسه، حتى يضيع عليه دينه، ويذهب عنه إيمانه، وعندها يهلك في أودية الضلال، وشعاب الهوى والحيرة.

وهذا التشبيه من قبيل التشبيه الضمني، وقد اعتمد على ركنين: تشبيه الشيطان بالذئب، وتشبيه الخارج عن الجماعة بالشاة الشاردة عن القطيع.

---

(١) رواه : الإمام أبو داود (٥٤٧)، كتاب (الصلاة).

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود، بدر الدين العينى ،المحقق: خالد إبراهيم المصري الناشر: مكتبة الرشد – الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م، ١٨/٣

وتنبع براعة هذا التشبيه من اختيار (الشاة) دون غيرها، وذلك لضعف الشاة، وقلة حيلتها، فليس لها من القوة ما تدرأ عن نفسها عدوان الذئب، وليس لها من الحيلة ما ترد مكره، وتدفع شره.

كما جاء الوصف (القاصية)؛ ليصور الضعف الكامل لهذه الشاة، فهي مع ضعفها في ذاتها قد ازدادت ضعفًا ببعدها، فلا راعي يحميها، ولاجماعة تعضدها وتقويها؛ لذلك ذهبت إلى قضائها المحتوم، ومصيرها المشؤوم، وهو أفواه الذئاب الجائعة، وبطونها الخاوية.

وهذه الصورة التشبيهية الرائعة صورة منتزعة من بيئة النبي – ﷺ– وهذا يدل على دقة ملاحظته، وعمق تفكيره حيث يختار من مفردات البيئة التي يعيش فيها، ويحيا في أجوائها، ما يؤيد فكرته، ويعمق من معانيه، كما أن اختيار هذه الصورة مما يؤكد المعنى في قلوب المخاطبين، ويمكنه من نفوسهم؛ لأن هذا المشهد يرونه في بيئتهم، ويبصرونه في حياتهم، فهو ليس غريبًا عنهم فيستغربوه، أو بعيدًا عن أعينهم فيستبعدوه.

وقد أكد النبي – ﷺ– غلبة الشيطان للإنسان، وتمكنه منه عند مفارقته الجماعة، بصورة تعبيرية أخرى وهي الاستعارة في قوله (استحوذ عليهم الشيطان)، فالاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة[1]، وقد استعاره النبي – ﷺ– ؛ لتمكن الشيطان من الإنسان بالوسوسة، والميل به حيثما يريد ويهوى، فهو متمكن منه تمكن من استولى على إنسان مغلوب على أمره، منكسر بين يدي بطشه وقهره.

وتعد هذه الاستعارة اقتباسا من القرآن الكريم، حيث وردت في قوله –تعالى– :﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[2].

---

(١) ينظر : لسان العرب ٣/ ٤٨٧

(٢) سورة: المجادلة، آية:١٩

الحديث الثالث:

قالت عائشة: سأل أناس رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عن الكهان، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليسوا بشيء» قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»(١).

في هذا الحديث أتى النبي – ﷺ– بصورة تشبيهة حسية، ليوضح بها معنى غير حسي، ويخرجه من الغيب المجهول إلى الواقع المحسوس، فما يقوم به الجن من تبليغ الكهان ما يسرقونه من السماء، أمر غيبي غير مدرك، فأراد النبي – ﷺ– توضيحه وبيان كيفيته، فشبهه بقرقرة الدجاجة، وهو صوتها.

وقد روي هذا الحديث برواية (قر الزجاجة) بدل (قر الدجاجة)، والمقصود هو صوت قرقرة الماء عندما يصب في الزجاجة، وكلتا الروايتين صواب من حيث المعنى، والدلالة على المراد.

يقول الإمام ابن بطال:" وأما قوله: (فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة) أى: يضعها فى الأذن بصوت شبيه بقرقرة الدجاجة. قال الأصمعى: قرقر البعر قرقرة إذا صفا ورجع. وقد روى: كقرقرة الزجاجة، وكلا الروايتين صواب، ويدل على– صحة الرواية بالزجاجة رواية من روى: كما تقر القارورة؛ لأن القرقرة قد تكون فى الزجاجة عند وضع الأشياء فيها كما تقرقر الدجاجة أيضًا، وكما تكون القراقر فى البطن، ووقع فى كتاب بدء الخلق: فيقرها فى أذن وليه كما تقر القارورة، والمعنى فيه: أن الشياطين تقرأ الكلمة فى أذن الكاهن كما يقر الشىء فى القارورة"(٢).

وقد جاء هذا التشبيه محذوف الأداة ووجه الشبه؛ للتأكيد على أن صوت الجني هو نفسه صوت قرقرة الدجاجة أو الزجاجة، لا يفترقان في شيء، وهذا هو المناسب لسياق الكلام، لأن المشبه به أمر غيبي، والأمور الغيبية تحتاج دائمًا إلى ما يؤكدها، ويمكنها من عقول وأذهان المخاطبين.

---

(١) رواه:الإمامان، البخاري(٦٢١٣) كتاب (الأدب)، ومسلم (٢٢٢٨)، كتاب (السلام).

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض،الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ١٠/ ٥٥٧

ونلحظ أن النبي – ﷺ– عبر بكلمة (الجني) بدل الشيطان؛ لأن سياق الحديث هو لبيان استراق هذا الجني للسمع، وخطفه للكلمة في خفة وسرعة، وهذا الخطف يناسبه المبالغة في التخفي والاستتار، وكلمة الجني توحي بهذا الاستتار، وتنبىء عن هذا التخفي؛ لأن المعنى اللغوي لكلمة (جَنّ) هو سَتَر[1] ؛ لذلك كان من المناسب التعبير بالجني بدل الشيطان.

كما جاءت صورة بيانية أخرى في هذا الحديث، وهي قوله (فيخطفها الجني)، حيث استعار(الخطف) لسرعة استراق السمع من السماء، وهذه الصورة تبرز مدى خفة هذا الجني، ومدى سرعته في استراق السمع قبل أن يعاقب بجنايته، ويؤاخذ بجريرته، كما أنها أبرزت الكلمة التي يتلصص الجن لسماعها في صورة شيء مادي محسوس، والجني قد استطاع خطفها في طرفة عين، كأنه البرق الخاطف.

وتنبع فضيلة الصور البيانية في هذا الحديث من تشبيه واستعارة، أنها وضحت لنا غيبًا لانعلمه، وجسدت لنا معنى معقولًا لاندركه، حتى أنست به النفس، وركن إليه الحس، وهذه الفضيلة هي أكمل فضائلها، وأظهر محاسنها.

الحديث الرابع:

عن أنس بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ»[2].

الْحَذَفُ: "هو بفتح الحاء المهملة، وفتح الذال المعجمة، بعدها فاء جمع حذفة، وهي: غنم صغار سُود أكثر ما تكون باليمن، وقيل: هي صغار جُرد ليس لها آذان ولا أذناب، يجاء بها من جُرَش اليمن، وقيل: هي غنم صغار حجازية"[3].

---

(١) ينظر صـ ٩ من البحث

(٢) رواه: الإمام أبو داود (٦٦٧)، كتاب(الصلاة)، باب (تسوية الصفوف).

(٣) شرح سنن أبي داود ٣/ ٢١٨ ، وينظر: فيض القدير ٤/ ٥

فالنبي – ﷺ– أراد أن يرسم لنا صورة لتسلل الشيطان إلى الفرجات، التي تقع في صفوف المسلمين أثناء الصلاة من أثر عدم التراص والتضام، فشبه تسلل الشيطان بتسلل الغنم الصغيرة، والتي لها من الخفة والمهارة مع صغر الحجم ما يمكنها من التسلل إلى الفرجات الصغيرة، والفتحات الضيقة، وهكذا الشيطان له من الخفة والمهارة ما يمكنه من التسلل إلى فرجات الصف؛ لكي يشغل المصلي عن صلاته بوساوسه، ويشغب عليه بهواجسه، فيخرج المصلي من صلاته كما دخل فيها، لا يعلم ما صلى؟ وكم صلى؟.

كما أن التشبيه بالحذف دون غيره يوحي بمدى ضآلة الشيطان، وضعف قوته؛ لأن الحذف كذلك ضعيف البنيان، واهن القوى لصغره.

كما أكد النبي– ﷺ– هذه الصورة التشبيهية بالقسم (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ)؛ لكي يحمل المخاطبين على المحافظة على رص الصفوف، والمقاربة بينها؛ ليأمنوا من مكر الشيطان بهم، ووسوسته لهم في صلاتهم.

وهذه الصورة – أيضا– صورة منتزعة من بيئة النبي – ﷺ–؛ ليكون المعنى أقوى، والصورة أوضح، حتى إذا ما رأى المخاطبون أمام أعينهم الحذف الصغير في مراعيهم وأوديتهم تذكروا الشيطان، وما يمكنه أن يفعله بهم في صلاتهم عندها يستجيبون للأمر، وينصاعون للنصح، وهذا من أقوى فوائد التشبيه المنتزع مما يراه الناس ويأنسون به، وهذا هو ما قصده النبي – ﷺ– من وراء هذا التشبيه.

الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ الشَّيْطَانُ، فَأَبَسَ بِهِ كَمَا يَأْبِسُ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ، فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنَقَهُ، أَوْ أَلْجَمَهُ "[1].

أبس الرجل بدابته: معناه، كما قال الإمام السندي: "من الإبساس: وهو التلطُّف بالدابة بأن يقال لها: بَسْ بَسْ، تسكيناً لها"[1].

---

(١) رواه: الإمام أحمد في المسند(٨٣٧٠).

أما (زنقه): ففي لسان العرب" الزِّناقُ: حَبل تَحْتَ حَنَكِ الْبَعِيرِ يُجْذَب بِهِ. والزِّناقة: حَلْقَةٌ تُجْعَلُ فِي الجُلَيدة هُنَاكَ تَحْتَ الْحَنَكِ الأَسفل، ثُمَّ يُجْعَلُ فِيهَا خَيْطٌ يُشَدُّ فِي رأْس الْبَغْلِ الجَمُوح، زَنَقه يَزْنُقه زَنْقاً... المَزْنوقُ: المَرْبُوطُ بالزِّناق وَهُوَ حَلْقَةٌ تُوضَعُ تَحْتَ حَنَكِ الدَّابَّةِ ثُمَّ يُجْعَلُ فِيهَا خَيْطٌ يُشَدُّ برأْسه يُمْنَعُ بِهَا جِمَاحُهُ"(١).

وعلى هذا فالنبي – ﷺ– يصور فعل الشيطان بالمسلم عندما يكون في المسجد للصلاة، أو للذكر وتلاوة القرآن، بصورة الرجل الذي يتلطف بدابته، ويتحايل عليها بالتهدئة والتسكين، ويفتل لها في الذروة والغارب حتى تكفكف من جماحها، وتنثنى عن نفورها، فيتمكن منها ويسيرها حيث أراد، وكذلك الشيطان يظل يتلطف بالإنسان، ويتحايل عليه بالحيل اللطيفة، والوساوس الخفيفة، حتى إذا استكان له الإنسان، وأرخى له العنان، قاده إلى ما هو أكثر ضررا، وأعظم خطرا، وهو إلجامه عن الذكر، وصده عن الصلاة والخشوع فيها، أو جره إلى فعل الموبقات، واقتراف المهلكات.

وتتجلى براعة النبي– ﷺ– التعبيرية في اختياره لكلمة (أبس) دون غيرها، لما فيها من معنى الهمس الخفيف، والتلطف الرقيق، كما أن صوت حرف السين دل على هذا الهمس، وأشار إليه.

وهناك صورة بيانية أخرى لاتقل روعة عن سابقتها، وهي صورة الشيطان وقد ألجم هذا الرجل بلجام، كما يلجم الإنسان دابته، ويزنقها بالزناق، فهي استعارة لتمكن الشيطان منه غاية التمكن، وقدرته عليه غاية الاقتدار، حتى أنه استطاع أن يمنعه من الذكر، ويشغل قلبه عن العبادة، وكأنه أتى بلجام قد سد به فمه، وعقد به لسانه، فلا يستطيع أن ينطق بذكر، أو يسترسل في تلاوة.

وقد جاء التعبير بأداة الشرط (إذا)؛ لتدل على تحقيق الشيطان لمراده، ووصوله لغايته من التمكن من الإنسان، والاقتدار عليه عن طريق التلطف به، والتحايل عليه، وهذه إشارة إلى أن كثيرا من

---

(١) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد، لأبي الحسن نور الدين السندي، المحقق/ أبو معاذ طـــــارق عوض الله، الناشر: دار المأثور للنشر والتوزيـــــع– الرياض، الطبعة:١٤٣١هـ ٢/ ٦١٣

(٢) لسان العرب١٠/ ١٤٦

الناس يركنون إلى حيل الشيطان ووساوسه، ويستنيمون لها؛ لذلك يجب أخذ كامل الحيطة منه، وبالغ الحذر.

ففي هذا الحديث استطاع النبي - ﷺ- أن يوضح لنا بصورة غاية في الروعة والإبداع كيف يوسوس الشيطان للإنسان، فهو لايهجم عليه مرة واحدة، ليوسوس له بعظائم الأمور، وكبائر الشرور، وإنما يستدرجه خطوة خطوة يبدأ بالأخف فالأخف إلى أن يصل به إلى ما تتعاظمه النفوس، وتستنكره القلوب من الذنوب والآثام، يبدأ بالتلطف والتسكين، إلى أن ينتهي بالإلجام والتقييد، الذي هو غاية التمكن للشيطان من بني الإنسان.

الحديث السادس:

عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّهُ قَالَ عَرَّسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةً بِطَرِيقِ مَكَّةَ. وَوَكَّلَ بِلَالًا أَنْ يُوقِظَهُمْ لِلصَّلَاةِ. فَرَقَدَ بِلَالٌ وَرَقَدُوا. حَتَّى اسْتَيْقَظُوا وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ... ثُمَّ الْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلَالًا وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَضْجَعَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُهَدِّئُهُ، كَمَا يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ»(١).

هذه الصورة التشبيهة الواردة في هذا الحديث، متقاربة مع الصورة السابقة، فكلاهما يدلان على تلطف الشيطان بالإنسان، وتحيله عليه بالحيل اللطيفة حتى يسكن له، وعندها يصده عن الطاعة، ويشغله عن العبادة، فالصورة الأولى كانت بتلطف الإنسان بدابته، أما هذه فهي ألطف، وأبدع، وهي تلطف الإنسان بصبيه الصغير حتى يخلد للنوم، ويستنيم للراحة.

كما أنها صورة فيها طرافة، حيث تُصور لنا بلالًا- رضي الله عنه- وكأنه طفل صغير في حضن الشيطان، يهدهد عليه، ويتلطف به حتى استرخت أوصاله، وهدأت أعضاؤه، فخلد إلى نوم عميق لم يستطع معه القيام لصلاة الفجر، وإيقاظ النبي- ﷺ- لأدائها.

وما هدهدة الشيطان لبلال، وتلطفه به إلا الوساوس التي أحكم بها وثاقه، والهواجس التي شد بها خناقه، والأحلام التي سيطر بها على عقله، حتى نام عن صلاة الفجر، وكسل عن الاستيقاظ لها،

---

(١) رواه: الإمام مالك في الموطأ(٢٦)، كتاب(وقوت الصلاة).

فهي استعارة، ثم وضح النبي – ﷺ– هذه الاستعارة بالتشبيه، فهي صورة مركبة من استعارة وتشبيه، والصور المركبة من أبدع الصور وأجملها، لما فيها من تركيب بديع، وتنويع لطيف، وثراء في التعبير، وتفنن في التصوير به يقوىٰ المعنىٰ ، ويزداد تألقا ووضوحا.

الحديث السابع:

عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَنْ رِدْفِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أَوْ مَنْ حَدَّثَهُ عَنْ رِدْفِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أَنَّهُ كَانَ رِدْفَهُ فَعَثَرَتْ بِهِ دَابَّتُهُ فَقَالَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: " لَا تَقُلْ، فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يَصِيرَ مِثْلَ الْجَبَلِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ "[1].

في هذا الحديث صورتان تشبيهيتان، الأولىٰ: تشبيه الشيطان بالجبل فىٰ العظمة والشموخ، والثانية: تشبيهه بالذباب في الضعف والهوان.

فالإنسان عندما يدعو علىٰ الشيطان عند عثار دابته بقوله (تعس الشيطان)، يعنىٰ : هلك[2]، عندها يظن الشيطان أن له قيمة وقدرًا، ومنزلة ومكانة، بسبب أن الإنسان بدعائه هذا يوحي وكأن الشيطان هو من أوقع بدابته العثار، وأن له يدًا فيما أنزله به من أذىٰ وأضرار، عندها تنتفخ أوداج الشيطان، ويرتفع صدره، ويتعاظم في نفسه حتىٰ لكأنه الجبل الشامخ ، والطود الراسخ، والنبي – ﷺ– لا يقصد أن الشيطان ينفخ أعضاءه، ويمط أوصاله حتىٰ يكون مثل الجبل علىٰ الحقيقة، بدليل تشبيهه في الصورة المقابلة بالذباب، وإنما المقصود من وراء هذا التشبيه بيان ما يشعر به الشيطان من عزة وكبرياء، وفخر وازدهاء، حتىٰ لكأنه من عزته بنفسه، وزهوه بذاته كالجبل الأشم، أما عندما يذكر الإنسان ربه، عندها يذل الشيطان في نفسه، ويشعر بالصغار والهوان في قلبه، وكأنه ذباب لا قيمة له، ولا مكانة.

---

(١) رواه: الإمام أحمد في المسند(٢٣٠٩٢)، وأبو داود (٤٩٨٢)، كتاب (الأدب).

(٢) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محـــــــــمد أشرف بن أمير العظيم آبادي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ه ١٣/ ٢٢٣

وقد اختار النبي – ﷺ– الجبل دون غيره، لشهرته في بيان معنى العظمة والشموخ والارتفاع، كما اختار الذباب؛ لأنه يضرب به المثل في الضعف والهوان، والضعة والحقارة؛ لذلك لما أراد الله – عز وجل – تحدي الكفار بأن يخلقوا شيئًا تحداهم بخلق الذباب؛ لأنه أضعف ما يكون وأحقره، فإذا عجزوا عن خلقه كانوا عن غيره أعجز، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[1].

ولعل اختيار النبي – ﷺ– للذباب كان بسبب تأثره بهذه الآية؛ لذلك حذوها في اختيار الذباب؛ لكي يصور به ضعة الشيطان وحقارته.

وقد زاد المعنى وضوحا وتأكيد المقابلة اللطيفة بين حالتي الشيطان، حالة الكبر والفخر، وحالة الضعة والحقارة، وهذا من شأنه أن يحمل المخاطبين على المداومة على ذكر الله – عز وجل– في كل حال، وأن تنسب إليه كل الأعمال؛ لأنه هو الذي قدرها، وشاء وقوعها، بدل نسبتها للشيطان الذي لا دخل له فيها، ولا شأن له بها.

---

(١) سورة: الحج، آية: ٧٣

المبحث الثاني

التصوير التشبيهي بالشيطان

في الأحاديث السابقة كان الشيطان هو المشبه، وقد التقط النبي- ﷺ- بعض الصور من بيئته؛ لكي يشبه الشيطان بها، حتى يصور للمخاطبين بعضا من صفاته وخصائصه، ويصف لهم طريقة إضلاله للناس، وكيفية السيطرة عليهم عن طريق وساوسه، وما يبثه في قلوبهم من هواجسه.

أما في الأحاديث التي سيأتي ذكرها، فسوف يكون الشيطان هو المشبه به، فالنبي- ﷺ- سيجعله صورة يشبه بها كل من يوافق طبعه، ويتلاءم مع صفاته، فيسلك مسلكه، وينتهج نهجه، وإذا كان المقصود هو تقبيح المشبه، وبيان أنه شبيه بالشيطان في سلوكه وأفعاله، فإنه يفهم بالتبعية - أيضًا- من سياق الكلام تقبيح الشيطان، وتقبيح ما يقوم به من إضلال الناس، فهو قد أصبح علمًا على كل شر، ورمزًا واضحًا لكل ضر، لذلك كان من تمام البلاغة أن يُشبَّه به كلُّ من كان على شاكلته، ويصبح مضربا للأمثال لكل من كان على طريقته.

وقد ورد هذا التشبيه في خمسة أحاديث.

وأول هذه الأحاديث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَمْنَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَمْنَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»(١).

هنا شبه النبي - ﷺ- من يمر بين يدي المصلي بأنه شيطان، وذلك لأنه يفعل ما يحبه الشيطان، ويسر به. فالشيطان يحب أن يشغل المصلي عن صلاته، ويلهيه عن الخشوع فيها، وهذا المار بين يدي المصلي قد أتي أيضًا بفعل من شأنه أن يشغل المصلي عن صلاته، ويلهيه عنها؛ لذلك أشبه الشيطان بإتيانه هذا الفعل، ومقارفته هذا الذنب(٢).

---

(١) رواه: الإمامان، البخاري(٥٠٩)، كتاب(الصلاة)، ومسلم(٥٠٥)، كتاب(الصلاة).

(٢) ينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال٢/ ١٣٧، وفتح الباري١/ ٥٨٤

وقد أكد النبي – ﷺ– هذا المعنى بحذف أداة التشبيه، والتقدير: فإنما هو كشيطان؛ ليبين أن هذا المار كأنه شيطان بالفعل، قد تلبس طبيعته، وشاكل خصائصه، حتى لكأنه أصبح من جنسه، وفردًا من أفراد نوعه، لايفترقان في شيء، كما جاء التأكيد أيضا بالأداة (إنما)؛ لكي يلمح إلى معنى القصر، فهذا المار بين يدي المصلي أصبح مقصورا على كونه شيطانا، لا إنسانا؛ ليدل على أنه أصبح من جنس الشياطين، وليس من جنس البشر، وهذا على سبيل المبالغة، وهذا من شأنه أن يقبح هذا الفعل، ويجعل كل مسلم يتوقى المرور بين يدي المصلى، حتى لا يكون مثل الشيطان في طبعه وخصائصه.

ومن المحتمل أن يكون إطلاق الشيطان على المار بين يدي المصلى على سبيل الحقيقة؛ لأن الشيطان في اللغة هو كل عات متمرد[1]. يقول الإمام العيني موضحا كلا الرأيين:" (فإنما هو شيطان)، هذا من باب التشبيه حذف منه أداة التشبيه للمبالغة أي: إنما هو كشيطان، أو يراد به شيطان الإنس، وإطلاق الشيطان على المارد من الإنس سائغ شائع، وقد جاء في القرآن قوله– تعالى– :﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾[2]"[3].

ولكن احتمال أنه من باب التشبيه أرجح؛ لأن المار بين يدي المصلي لايبلغ بفعله هذا أن يكون من العتاة المتمردين حتى يصح إطلاق لفظ الشيطان عليه، كما أن سياق الحديث كله مداره على التحذير من هذا الفعل لأن فيه إشغالًا للمصلي عن صلاته، ومن المعروف أن أكثر ما يشغل المصلي عن صلاته هو وساوس الشيطان، التي تأخذه بعيدًا عن الصلاة، والتفكر فيها؛ لذلك كان من المناسب جدًا تشبيه هذا المار بالشيطان؛ لأنه أشبهه في شغل المصلي عن صلاته، وإلهائه عنها.

الحديث الثاني:

---

(١) ينظر: لسان العرب ١٣/ ٢٣٨

(٢) سورة: الأنعام، آية: ١١٢

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العينى ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: بدون ٤/ ٢٩١ ، وينظر: فتح الباري١/ ٥٨٤

وقد ورد في المعنى نفسه، وهو المرور بين يدي المصلي، حيث شبه النبي- ﷺ- الكلب الأسود بأنه شيطان، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ» قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: «الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»[1].

فهنا شبه النبي - ﷺ- الكلب الأسود بأنه شيطان، وذلك لأن الكلب الأسود تنفر منه النفوس، وتستوحش منه الطباع، كما أنه في الغالب يكون أخبث الكلاب، وأشدها ضررًا، وأكثرها ترويعًا؛ لذلك شبهه بالشيطان؛ لأنه ماثله في القبح والبشاعة، هذا بالإضافة إلى أنه عندما يمر بين يدي المصلي، فإنه سيشغله عن صلاته، ويلهيه عن الخشوع فيها؛ لأنه سيتوجس منه خيفة، ويتسلل إلى قلبه منه ريبة؛ لذلك سيتطلع إلى مدافعته، ويفكر في مصاولته إن حاول الاقتراب منه، أو المرور بين يديه، وهذا التفكير لا ريب أنه مشغل للمصلي عن صلاته، قاطع لخشوعه فيها؛ وكذلك الشيطان يحاول بكل طريقة أن يشغل المصلي عن صلاته، ويمنعه من التفكر فيها، فلما شابه الكلبُ الأسودُ الشيطانَ في هذا الأمر، صح أن يُشبَّه به، وأن يكون الشيطان له صورة ومثلًا[2].

ومن عجيب أن بعض العلماء ذهبوا إلى أن الكلب الأسود شيطان بالفعل، وأن الشيطان قد تصور بصورته، وأخذوا بظاهر الحديث، ولكن هذا ضعيف جدا، ومجاف للعلم، ومعارض للعقل والواقع، والله أعلم[3].

الحديث الثالث:

---

(١) رواه : الإمام مسلم (٥١٠)، كتاب (الصلاة).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٢٦١

(٣) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحـــــمد بن محمد القسطلاني الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ ٥/ ٢٩٨

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ»[1].

هذا الحديث جاء فيه التشبيه على حذو التشبيه السابق، فكما شبه النبي – ﷺ– الكلب الأسود بأنه شيطان، كذلك شبه الراكب المنفرد وحده بأنه شيطان، وشبه الراكبين بأنهما شيطانان، والراكب هو المسافر[2].

ووجه الشبه بين الراكب والراكبين، وبين الشيطان أن فعلهما يشبه فعل الشيطان الذي يحب الانفراد، والإيغال وحده في الأماكن الموحشة، كما أنهما أشبها الشيطان في حبه للفرقة، ونفورهما من الوحدة والاجتماع.

يقول الإمام الباجي: " قوله – صلى الله عليه وسلم –: «الراكب شيطان» يريد – والله أعلم – حكمه حكم الشيطان، وفعله فعل الشيطان في انفراده عن الأنس، وتركه الأنس بهم، وبعده عن الارتفاق بمجاورتهم ومرافقتهم، وتركه الجماعة المأمور بها، وكذلك الاثنان حكمهما ذلك، وأما الثلاثة فركب وجمع قد خرجوا عن حكم الشياطين إلى حكم الاجتماع بالأنس والارتفاق بمرافقتهم، ويحتمل أن يريد به الواحد والاثنين يفرون من الناس، ويستترون منهم، ويخافون لقلتهم، وأن الثلاثة ركب يأمنون، ويأنسون بالناس، ويؤنس بهم وهذا عام"[3].

وهذا الحديث خرج مخرج التحذير والزجر لكل من يحب الانفراد وحده وقت السفر، والبعد عن الجماعة، لما في ذلك من المساوىء والأضرار، فالبركة والخير في الجماعة، والوحشة والشر في الانفراد.

---

(١) رواه: أبو داود(٢٦٠٧)، كتاب (الجهاد)، والترمذي(١٦٧٤)، أبواب(الجهاد).

(٢) ينظر : فيض القدير ٤/ ٤٣

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي الأندلسي، الناشر: مطبعة السعادة– مصر الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ ٧/ ٣٠٣

وإنما اختار النبي – ﷺ– المسافر مع أن هذا الحكم يشمل كل من انفرد عن الجماعة؛ لأن الانفراد وقت السفر أعظم ضررًا ، وأشد خطرًا، فكان الزجر عنه أولى، والتغليظ في اجتنابه أهم[1].

وهذا التشبيه كسابقه تشبيه محذوف الوجه والأداة؛ للمبالغة في المشابهة بين الراكب والراكبَينِ، وبين الشيطان، حتى يحمل المخاطبين على لزوم الجماعة، وعدم الانفراد عنها، والخروج منها.

الحديث الرابع:

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»[2].

شبه النبي– ﷺ– المرأة عندما تقبل، أو تدبر بالشيطان في إغوائها للرجال، ودعوتهم إلى المعصية عن طريق النظر إليها، والافتتان بها.

يقول الإمام النووي:" قال العلماء: معناه الإشارة إلى الهوى، والدعاء إلى الفتنة بها؛ لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته، وتزيينه له"[3].

وليس المقصود هنا هو التحقير من شأن المرأة، أو الانتقاص من قدرها، أو وصفها بالتبذل ودعوة الرجال إلى الفجور والمعصية على العموم، بدليل وجود كثير من النساء الصالحات العفيفات، وإنما المقصود أن الله– عز وجل– جعل في قلوب الرجال الميل إلى النساء، والنظر إليهن؛ لذلك يستغلها الشيطان؛ لكي يوسوس للرجال بأن ينظروا إليها، ويفتتنوا بها، فهي أشبهت الشيطان من هذه

---

(١) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي الشافعي اعتنى به: خليل مأمون شيحا،الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م ٦/ ٤٤٣

(٢) رواه : الإمام مسلم (١٤٠٣)، كتاب (النكاح).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه ٩/ ١٧٨

الناحية، فكما أن الشيطان يفتن الناس عن دينهم، ويوقعهم في المعصية، فكذلك المرأة بما قذف الله – سبحانه وتعالى– حبها في قلوب الرجال تكون طريقًا لفتنتهم، وإيقاعهم في المعصية.

والتشبيه الوراد في هذا الحديث من قبيل التشبيه الضمنى، المفهوم من سياق الكلام، وفحوى الحديث.

وقد خص النبي – ﷺ– الإقبال والإدبار مع أن الفتنة بالمرأة، وحب النظر إليها إنما يكون من جميع جهاتها؛ لأن في الإقبال النظر إلى وجهها، والإفتتان بحسن جمالها، وفي الإدبار تكون الفتنة بالنظر إلى خصرها وأردافها، فالفتنة بالإقبال والإدبار أكثر وأعظم؛ لذلك خصهما دون غيرهما، وقدم الإقبال لكونه أشد فسادا؛ لحصول المواجهة به[1].

وقد ورد حديث آخر في المعنى نفسه، وهو ما رُوي عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»[2].

ولكن نلحظ أن النبي– ﷺ– وظف في هذا الحديث الاستعارة، وليس التشبيه كما في الحديث السابق، حيث استعار (الاستشراف) للوسوسة[3]، واستشراف الشىء: هو أن يضع الإنسان " يَدَهُ عَلَى حاجِبِه كَالَّذِي يَسْتَظِلُّ مِنَ الشَّمْسِ حَتَّى يُبْصِرَه ويَسْتَبِينَه... والاسْتِشْرافُ: أَن تَضَع يَدَكَ عَلَى حَاجِبِكَ وَتَنْظُرَ، وأَصله مِنَ الشَّرَف العُلُوّ، كأنه يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ مُرْتَفِع فَيَكُونُ أَكثر لإِدراكه"[4].

إذا الاستشراف يدل على معنى البحث المتيقظ، والاطلاع الواعي من مكان عال على ما يبحث الإنسان عنه، ويرجو طلبه، فأراد النبي – ﷺ– أن يصور الشيطان إذا ما رأى المرأة وكأنه يستشرفها،

---

(١) ينظر: فيض القدير ٢/ ٣٨٩

(٢) رواه : الإمام الترمذي (١١٧٣)، في أبواب (الرضاع).

(٣) ذكرت هذا الحديث هنا، وإن كان حقه أن يذكر في مبحث: الاستعارة التصريحيـــة، وذلك لأن معناه مشابه لمعنى الحديث الذي سبقه، لذلك كان من الأليق أن يذكرا في مكان واحد.

(٤) لسان العرب ٩/ ١٧١-١٧٢

ويتطلع إليها، وكأنه يبحث عن كنز ثمين، وصيد عزيز، فإذا ما وجده ألقى عليه شباكه، ونسج حوله أحابيله حتى يوقعه في فخه، ويحبسه في شَرَكه، وما شباك الشيطان إلا وساوسه التي يقذف بها في قلب المرأة، حتى تفعل من الأفعال المخالفة للشريعة ما يلفت نظر الرجال إليها، ويجعلهم يفتنون بها، كما يلقي الشيطان أيضا شباكه على الرجال، فيزين لهم النظر إلى هذه المرأة، ويجمِّلها في أعينهم، حتى يقعوا في الذنب، وينغمسوا في الإثم[1].

إن هذه الصورة البيانية الرائعة، قد صاغها النبي – ﷺ– بكلمة واحدة (استشرفها)، وهذا يدل على أن كلمة واحدة قد تكون بمقام صورة كاملة، واضحة المعالم ظاهرة القسمات، ولكن تحتاج إلى ماهر بضروب الكلام، خبير بأساليبه، حتى يضعها في موضعها المناسب، وموقعها الملائم وهكذا كان النبي ﷺ.

وهنا يجدر التنبيه إلى أن قوله – ﷺ– (المرأة عورة) ليس مقصوده الغض من قيمة المرأة والانتقاص من قدرها، كما يدعى أعداء الإسلام، حيث تلقفوا هذا الحديث، وأساؤوا فهمه، وشغبوا به على الإسلام وشريعته، مدعين أنه يدل على الإزراء بالمرأة، والحط من شأنها. ولكن الفهم الصحيح لهذا الحديث يدل على أن مقصود النبي – ﷺ– هو تشبيه المرأة بالعورة، فى المبالغة في التستر والاحتشام، فكما أن الإنسان يبالغ في ستر عورته؛ لأن ظهورها مما يسوؤه، ويزري به، فكذلك المرأة يجب عليها أن تستر نفسها، وتحتشم في ملبسها، حتى لا يظهر من جسدها ما يزري بها، وينقص من قدرها، ويرميها بالتهتك والانحلال. فمقصود الحديث إذا هو الدعوة للاحتشام والتستر، لا كما فهمه أعداء الإسلام عن جهل أو عن سوء قصد، أنه دعوة للإزراء بالمرأة، والانتقاص من قدرها.

الحديث الخامس:

عن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ، فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ

---

(١) ينظر: تحفة الأحـــــوذي بشرح جامع الترمـــــــــذي،: أبو العلا محمـــــــد عبد الرحمن المباركفورى ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: بدون ٤/ ٢٨٣

شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»... الحديث»[1].

في هذا الحديث شبه النبي- ﷺ- قلوب أئمة الضلالة، ورؤوس الجهالة بقلوب الشياطين في خبثها وسوادها، وشدة ظلمها وضلالها، فهم أشبه بالشياطين؛ لأنهم يضلون الناس، ويلبسون عليهم أمر دينهم، فيجعلون الباطل حقًا، والحق باطلًا، حتى يتنكبوا بهم الهدى القويم والصراط المستقيم.

وقد اختار النبي - ﷺ- القلب دون غيره من أعضاء الجسد؛ لأن القلب هو موطن النية، ومكمن الإرادة، فهو من الجسد بمنزلة القائد من الجند؛ لذلك إذا صلح القلب صلح الجسد، وإذا فسد القلب فسد الجسد. وهذا التشبيه من قبيل التشبيه البليغ، المحذوف الوجه والأداة؛ ليكون أبلغ في بيان قوة المشابهة بين قلوب أئمة الضلالة، وبين قلوب الشياطين.

وكما جعل النبي - ﷺ- أحد أعضاء جسد الشيطان، وهو القلب مشبهًا به، فإنه في حديث آخر جعل العين مشبهًا به - أيضا-. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : " يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ، أَوْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ " قَالَ: فَدَخَلَ رَجُلٌ أَزْرَقُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَلامَ سَبَبْتَنِي - أَوْ شَتَمْتَنِي أَوْ نَحْوَ هَذَا -؟ قَالَ: وَجَعَلَ يَحْلِفُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُجَادَلَةِ: ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2][3].

فقول النبي- ﷺ- : ينظر بعيني شيطان، يعني: بعينين كعيني الشيطان، فهو تشبيه بليغ - أيضا- ؛ لبيان أن عين هذا الرجل كأنها عين الشيطان لا تفترق عنه في شيء، مبالغة في قوة المشابهة، وتمام المماثلة، وهذا من شأنه أن يظهر مدى خبث هذا الرجل، ويبرز عظيم شره.

ومع أننا لا نرى عين الشيطان لكن النبي- ﷺ- جعلها مشبهًا به، وذلك لأن الشيطان أصبح صورة لكل شر، ورمزًا لكل خبث؛ لذلك جاز أن يُجعَل مشبهًا به في الخبث والبشاعة مع عدم رؤيته،

---

(١) رواه: الإمام مسلم (١٨٤٧)، كتاب (الإمارة).

(٢) سورة : المجادلة، آية :١٤

(٣) رواه: الإمام أحمد في المسند (٢١٤٧).

ويشبه هذا ما ورد في القرآن الكريم من قوله- تعالى-:﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[1]، فمع أن رؤوس الشياطين غير معروفة لنا، ولا مدركة بحواسنا، لكن الله – عز وجل- جعلها مشبّهًا به، وذلك اتكاء على ما استقر في العقول، واستكن في الضمائر من بشاعة الشياطين، وشناعة مظهرها؛ لذلك صح أن تكون مشبها به؛ لشهرتها بذلك.

(١) سورة : الصافات ، آية : ٦٥

الفصل الثاني:
من بلاغة المجاز في التعبير عن الشيطان

المبحث الأول:

من بلاغة المجاز العقلي

من الظواهر اللافتة للنظر في الحديث النبوي الشريف، أن الرسول – ﷺ– أحيانًا يسند بعض الأفعال إلى الشيطان، لا على أنه يفعلها، أو يقوم بها، وإنما يسندها إليه؛ لأنه يتسبب فيها، ويحث الناس على فعلها.

وإسناد النبي – ﷺ– هذه الأعمال للشيطان إنما هو على سبيل المجاز العقلى، وذلك لأن هناك تجوزًا في الإسناد، حيث أسند هذه الأفعال إلى الشيطان، وهي ليست له. فالشيطان لما تسبب في هذه الأعمال بوسوسته، جاز أن تُسند إليه؛ لذلك كانت علاقة هذا المجاز هي السببية.

وسر هذا المجاز هو حث المخاطبين على الابتعاد عن هذه الأفعال، وترغيبهم في مجانبتها؛ لأنهم إذا علموا أن هذه الأعمال إنما هي بسبب الشيطان، وأنه هو الذي يوسوس للناس بفعلها، كان هذا دافعًا لهم للبعد عنها، وعدم مقارفتها أو الاقتراب منها، وهذا السر البلاغي ينتظم كل الأحاديث التي وقع فيها هذا المجاز.

وقد ورد هذا المجاز في سبعة أحاديث.

وأول هذه الأحاديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: " التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ الشَّيْطَانُ "[1].

في هذا الحديث نسب النبي – ﷺ– التثاؤب إلى الشيطان، وجعله من فعله، مع أن الشيطان لا دخل له في وجوده. فالتثاؤب له أسبابه الطبيعية المتعلقة بجسد الإنسان، ومع ذلك نسبه النبي – ﷺ–

---

(١) رواه:البخاري(٣٢٨٩) كتاب (بدء الخلق)، ومسلم(٢٩٩٤)، كتاب(الزهد والرقائق).

إلى الشيطان؛ لأن الشيطان يتسبب في وجود الأسباب التي ينشأ عنها التثاؤب. فالتثاؤب غالبًا ما ينشأ عن كثرة الأكل، وامتلاء المعدة، وكثرة السهر، والشيطان يوسوس للإنسان بفعل ذلك كله، ويغريه بالوقوع فيه، مما يترتب عليه تكاسل الإنسان، وارتخاء أعضائه وتثاقلها، وهذا من شانه أن يثبطه عن القيام بالعبادة، والنشاط في فعلها، أو يثبطه عن القيام بما فيه منفعته من أمر الدنيا[1].

هذا بالإضافة إلى أن التثاؤب فيه تغيير للصورة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان، فالتثاؤب فيه فتح الفم على آخره، وهذا ينافي جمال الصورة، وحسن الهيئة؛ لذلك يكون الإنسان عند التثاؤب مثار سخرية للشيطان، وضحك عليه[2].

وضحك الشيطان إما أن يكون على حقيقته، وإما أن يكون استعارة عن رضا الشيطان بهذا التثاؤب، وسروره به، وذلك لبيان مدى فرحه بهذه التثاؤب، حتى لكأنه من شدة الفرح، قد تفجر ضحكًا، وعلا صوته قهقة من منظر الإنسان حال تثاؤبه. كما أنه من المحتمل – أيضا – أن يكون ضحك الشيطان هنا كناية عن مدى استخفاف الشيطان بهذا الإنسان عند هذه الحالة، ومدى سخريته منه عند الوقوع فيها، ولا مانع من حمل الحديث على أيٍّ من هذه الوجوه[3]. والله أعلم.

وفي رواية عند الإمام مسلم «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ»[4]، ودخول الشيطان هنا استعارة عن التمكن من الإنسان، وسيطرته عليه، فكأن الشيطان قد دخل في جسد الإنسان، وأصبح مطية له، يقوده إلى حيث شاء، فالإنسان عندما يتثاءب يكون غالبا في غاية الكسل، وتثاقل الأعضاء، وعندها قد يستغل الشيطان هذه الفرصة، فيتمكن منه تمام التمكن، فيصده عن العبادة، ويكسِّله عنها[5].

---

(١) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ١٢٢

(٢) ينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٣٧٠

(٣) ينظر : عمدة القاري ٢٢/ ٢٢٨

(٤) حديث رقم (٢٩٩٥)، كتاب (الزهد والرقائق).

(٥) ينظر : فتح الباري ١٠/ ٦١٢

وذهب بعض العلماء إلى أن الشيطان يدخل جوف الإنسان على الحقيقة عند تثاؤبه، ولكن هـذا ضعيف جدًا، والواقع يرفضه، فنحن كثيرًا ما نتثاءب، وننسى أن نضع أيدينا على أفواهنا، ومع ذلك لا نشعر بأن شيئا قد دخل أجسادنا، أو سرى في أبداننا، أو قادنا إلى حيث لا نرغب ونريد[1].

الحديث الثاني:

عن أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ»... الحديث[2].

فمن المعلوم أن التفرق مذموم، وهو داع إلى وقوع الأخطار، وحصول الأضرار، فإن تفرقهم في الشعاب والأودية قد يجرأ عليهم عدوهم، فينال منهم غرة، ويوقع بهم حسرة؛ لذلك نسبه النبي - ﷺ- إلى الشيطان؛ لأنه سبب في حدوثه، فهو الذي يوسوس للناس به، ويرغبهم في الوقوع فيه.

كما عبر النبي - ﷺ- بالأداة (إنما)؛ لتأكيد هذه الحقيقة في قلوبهم، وتمكينها من نفوسهم، كما أن استخدام هذه الأداة أشار إلى أن هذا الأمر معروف مشهور؛ لذلك لا يداخله أقل شك، أو ينتابه أدنى ريب، وهذا من شأنه أن يجعلهم يأخذون الحيطة، ويتوخون الحذر من وسوسة الشيطان لهم بالافتراق، ودعوتهم إلى الاختلاف.

الحديث الثالث:

عن ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ خَطِيبَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَا فَتَكَلَّمَا، ثُمَّ قَعَدَا، وَقَامَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ خَطِيبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قَعَدَ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِمْ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، فَإِنَّمَا تَشْقِيقُ الْكَلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ "[3].

---

(١) ينظر : فيض القدير ١/ ٣١٤

(٢) رواه : الإمام أبو داود (٢٦٢٨) ، كتاب (الجهاد)

(٣) رواه : الإمام أحمد (٥٦٨٧)

تشقيق الكلام في اللغة: هو "الأَخذُ فِيهِ يَمِينًا وَشِمَالًا. واشْتِقاقُ الْحَرْفِ مِنَ الْحَرْفِ: أَخذُه مِنْهُ. وَيُقَالُ: شَقَّقَ الكلامَ إِذَا أَخرجه أَحْسَنَ مَخْرَج. وَفِي حَدِيثِ الْبَيْعَةِ: تَشْقِيقُ الْكَلَامِ عَلَيْكُمْ شديدٌ،أَيْ: التطلُّبُ فِيهِ لِيُخْرِجَه أَحسنَ مَخْرَجٍ"[1].

وعلى هذا فتشقيق الكلام: هو التكلف في إخراجه على صورة يستجلب بها مدح المادحين، والتصنع في تزويقه؛ لينال المحمدة من الحامدين، وهذا قد يدفعه إلى العجب بنفسه، والتكبر بها على الناس، كما قد يجره هذا إلى الكذب، والنطق بالباطل والزور، فكل هذه المساوىء تفرح الشيطان، وتسره؛ من أجل ذلك كله يوسوس الشيطان بهذا التشقيق لمن يريد الكلام والتحدث إلى الناس؛ لذلك نسب النبي – ﷺ– هذا التشقيق للشيطان؛ لأنه سبب فيه، وإن كان في الأصل ليس له تشقيق.[2]

الحديث الرابع:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِامْرَأَتِهِ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ»[3].

يوضح الإمام النووي سبب إسناد الفراش الرابع للشيطان، فيقول:" قال العلماء: معناه أن ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال، والالتهاء بزينة الدنيا، وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم يضاف إلى الشيطان؛ لأنه يرتضيه، ويوسوس به، ويحسنه، ويساعد عليه"[4].

---

(١) لسان العرب ١٠/ ١٨٤

(٢) ينظر: غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ،المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م ٣/ ٢٩٧

(٣) رواه : الإمام مسلم (٢٠٨٤)، كتاب (اللباس والزينة).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٥٩

فالشيطان هو الذي يوسوس لصاحب البيت أن يأتي بفراش رابع لا جدوى له، ولا طائل من ورائه، وإنما هو مال مهدر في غير منفعة، ضائع في غير قيمة؛ لذلك نسبه – ﷺ– للشيطان؛ لأنه متسبب فيه بوسوسته وتزيينه.

إن هذا المجاز البديع يصور هذا الفراش الرابع الذي ليس له قيمة، وكأن صاحب البيت قد هيأه للشيطان؛ لكي يفترشه، وينام عليه على إثر دعوة الشيطان له بذلك، ولاشك أن هذه الصورة مما تدفعنا إلى عدم الاستجابة لوساوس الشيطان بإهدار المال أو تبديده على هذا النحو المشين.

الحديث الخامس:

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ... الحديث[1].

يأمرنا النبي– ﷺ– في هذا الحديث أمر ندب وإرشاد، ألا نهدر الطعام، وألا نترك منه بواقي تذهب سدى بلا منفعة، حتى اللقمة ينبغي المحافظة عليها، وعدم إهدارها، وقد جعل من يفعل ذلك كأنه أعطى هذه اللقمة للشيطان.

فالنبي– ﷺ– أسند ترك هذه اللقمة للشيطان؛ لأن إهدار النعمة، والعبث بها، وعدم احترام قيمتها إنما هو بسبب وساوس الشيطان، وتزيينه هذه الأفعال في أعين الناس. كما أن إهدار الطعام والأنفة من أكل ما يسقط منه، هو غالبا من فعل المترفين، وعادة المتكبرين. والترف والكبر– أيضا– أفعال يحبها الشيطان، ويوسوس بها، ويغري الناس بفعلها؛ من أجل هذا كله أسند– ﷺ– النبي إهدار هذه اللقمة، وعدم الانتفاع بها للشيطان على سبيل المجاز العقلي، وعلاقته السببية.

" قال التوربشتي: إنما صار تركها للشيطان؛ لأن فيه إضاعة نعمة الله والاستحقار بها من غير ما بأس، ثم إنه من أخلاق المتكبرين، والمانع عن تناول تلك اللقمة في الغالب هو الكبر، وذلك من عمل الشيطان. "[2].

---

(١) رواه : الإمام مسلم (٢٠٣٣)، كتاب (الأشربة).

(٢) مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٦٩٥

وذهب بعض العلماء إلى أن المقصود من قوله (ولا يدعها للشيطان) على الحقيقة[1]، والمعنى: أن لايتركها للشيطان ليأكلها، ومما يضعف هذا القول: أن المانع للشيطان من الأكل من الطعام هو التسمية عليه، وليس حفظه وعدم إهداره، وعلى هذا فلو ذكر الآكل اسم الله- عز وجل- في أول الطعام، ثم وقعت منه لقمة فلن يأكلها الشيطان؛ لأنها مما سُمِّي عليه، كما أن سياق الحديث يرجح أن المقصود هو المحافظة على الطعام، وتجنب إهداره، وألا يكون الكبر دافعا لإهدار هذا الطعام، حتى ولو كانت لقمة مسها الأذي، فليمط عنها هذا الأذي، ثم ليأكلها.

الحديث السادس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ»[2].

المزمار هو الآلة التي يزمر بها الزامر، وهي من آلات الغناء المعروفة، وقد أسند النبي- ﷺ- المزامير للشيطان؛ لما يترتب عليها من تضييع الأوقات، والانشغال عن العبادات، كما أنها كثيرا ما تكون أداة لإشاعة الفاحشة والفساد في المجتمع، عن طريق اللهو العابث، والغناء الماجن، والرقص الخليع المثير للفتنة، والباعث على الشهوة، وهذا كله من الأشياء التي يحبها الشيطان، ويفرح بها، ويوسوس للناس بفعلها، والإقبال عليها؛ لذلك كله نسبها النبي – ﷺ- للشيطان[3].

وبعدما جعل النبي – ﷺ- للشيطان مزامير عن طريق المجاز العقلي، جعل الجرس من قبيل هذه المزامير عن طريق التشبيه البليغ، المحذوف الأداة والوجه، والتقدير: الجرس كمزامير الشيطان، والتشبيه هنا مقصود به الكراهة، فالنبي – ﷺ- كره الجرس وجعله بمثابة المزامير، وأكد هذه المشابهة

---

(١) ينظر : فيض القدير ١/ ٢٩٩

(٢) رواه : الإمام مسلم (٢١١٤)، كتاب (اللباس والزينة).

(٣) ينظر : فتح الباري ٢/ ٤٤٢

بحذف أداة التشبيه، حتىٰ يحمل الناس علىٰ مجانبته، وعدم استخدامه في أغراضهم، أو تعليقه في رقاب دوابهم كما يفعله بعضهم[1].

الحديث السابع:

عنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَرَّ بِحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ يُصَلِّي قَائِمًا، وَقَدْ غَرَزَ ضَفْرَهُ فِي قَفَاهُ، فَحَلَّهَا أَبُو رَافِعٍ، فَالْتَفَتَ حَسَنٌ إِلَيْهِ مُغْضَبًا، فَقَالَ أَبُو رَافِعٍ: أَقْبِلْ عَلَىٰ صَلَاتِكَ وَلَا تَغْضَبْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ذَلِكَ كِفْلُ الشَّيْطَانِ»[2].

النبي- ﷺ- كره أن يعقد المسلم شعره في الصلاة، وأن يجعله كضفيرة حتىٰ لا يلامس الأرض؛ لأن هذا الفعل من أفعال المتكبرين، وعادة المترفعين؛ لذلك كان الأليق بالمصلي أن يلامس شعره الأرض؛ لأن هذا دليل الخضوع، وعنوان الخشوع[3]، ولما رأىٰ الصحابي الجليل أبو رافع الحسنَ بنَ علي، وقد فعل هذا الفعل، أقبل عليه يفك ضفيرته، وأخبره بأن الرسول- ﷺ- قال عن هذه الضفيرة: إنها (كفل الشيطان).

والكفل: هو الحظ والنصيب[4]، وعلىٰ هذا يكون المقصود أن هذا الشعر المضفر هو نصيب الشيطان، وبالتالىٰ يكون الكلام من قبيل المجاز العقلي، حيث أسند الشعر المضفر للشيطان، وجعله ملكا له ونصيبا، والعلاقة هي السببية؛ لأن الشيطان هو المتسبب في ذلك عن طريق وسوسته للإنسان بأن يضفر شعره عند الصلاة، ويغري صاحبه بفعله.

---

(١) اختلف العلماء في سبب كراهة الجرس، فمنهم من قال: لمشابهته ناقوس النصارىٰ، وقيل: لأن صوته يشغل عن ذكر الله- عز وجل-، ومنهم من قال: النهي هنا مقصود به الجرس المعلق في رقاب الدواب، ومع مشيها وكثرة حركتها يتحرك الجرس، فيخرج أصواتًا أشبه بأصوات آلات الغناء، وهذه الأصوات قد تشغل الإنسان عن الذكر والصلاة وقراءة القرآن، ويبدو أن هذا السبب هو الأقرب للصواب، ويكون مناط كراهة استخدام الجرس عندما يكون صوته شاغلًا للإنسان عن العبادة والذكر، سواء كان معلقا علىٰ رقبة دابة أو غيرها. ينظر: فتح الباري ٦/ ١٤٢

(٢) رواه: الإمام أبو داود (٦٤٦)، كتاب (الصلاة).

(٣) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢/ ٢٤٧

(٤) ينظر: لسان العرب ١١/ ٥٨٨-٥٨٩

وقد ذهب الإمام الخطابي إلى تفسير آخر لمعنى (الكفل)، وهو أن يُجمع الكساء على سنام البعير ثم يُركب عليه، أي أن كفل الشيطان: هو موضع قعود الشيطان(١)، وقد ذهب إلى ذلك أيضا الإمام أبو داود صاحب السنن(٢).

وعلى هذا يكون المعنى المقصود: أن هذه الضفيرة هي مكان يقعد فيه الشيطان، وبالتالي يكون هذا الأسلوب من قبيل الاستعارة التمثيلية، حيث استعار النبي - ﷺ- صورة الشيطان، وقد اتخذ هذه الضفيرة مكانا لجلوسه، استعارها للوسوسة بهذا الفعل، والتحريض عليه، وهي صورة معبرة موحية، تدل على تمكن الشيطان، وتمام سيطرته، حتى لكأنه جالس على رأسه، مقيم وسط شعره، يسيِّره حيثما يشاء، ويقوده أنى يريد.

ويبدو أن هذا الاحتمال الأول هو الأقرب للصواب؛ لأن كلمة الكفل بمعنى النصيب مشهورة في الاستعمال اللغوي أكثر من استعمالها بمعنى الشيء الذي يوضع على البعير؛ ليقعد عليه، حتى إن أول ما يتبادر للذهن من معنى الكفل: هو النصيب، ومما يدل على ذلك استعمال القرآن الكريم، ففي قوله - تعالى- :﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾(٣)، أي: يكن له نصيب منها(٤)، كما أن التعبير عن الشيء المذموم بأنه حظ الشيطان ونصيبه ورد في الحديث النبوي الشريف، ففي حديث شق صدر النبي - ﷺ- أن جبريل استخرج عَلَقَة من قلب النبي- ﷺ- ، وقال: هذا حظ

---

(١) ينظر : معـــالم الســـنن، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، الناشر: المطبعة العلمية – حلب،الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م ١/ ١٨١

(٢) ينظر : سنن أبي داود، المحـــقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة : بدون ١/ ١٧٤

(٣) سورة : النساء، آية:٨٥

(٤) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، صـ ٢٧٩

الشيطان منك[1]، فهذا كله مما يرجح أن الكفل في الحديث بمعنى النصيب، وأن التعبير بالشيطان من قبيل المجاز العقلي، وليس الاستعارة التمثيلية. والله أعلم.

(١) رواه: الإمام مسلم(١٦٢)، كتاب(الإيمان).

المبحث الثاني

من بلاغة الاستعارة

تعد الاستعارة هي أكثر الألوان البلاغية التي وردت على لسان النبي- ﷺ- عند التعبير عن الشيطان، وذلك لما لها من أهمية بالغة في تصوير المعنى وتجسيده، وإخراجه من عالم المعقولات إلى عالم المحسوسات، فتجد المعاني أمامك في صورة واضحة السمات، محددة القسمات، صورة معبرة موحية، تراها الأعين ، وتسمعها الأذن، وتحسها الحواس، وعندها تجد هذه المعاني طريقها الممهد إلى القلوب، وسبيلها المعبد إلى النفوس، والشيطان غيب فكان لابد من إخراج هذا الغيب في صورة محسوسة، حتى نستطيع فهم حقيقة هذا الشيطان، وإدراك ما يفعله بنا، ويكيده لنا، وهذا هو ما فعله النبي- ﷺ- ؛ لذلك أكثر من التصوير بالاستعارة في التعبير عن الشيطان.

هذا، وقد تنوعت هذه الاستعارة إلى استعارة تصريحية، واستعارة تمثيلية، أما الاستعارة المكنية فلم ترد في أي حديث من الأحاديث التي ورد فيها ذكر الشيطان على حد علمي، والله أعلم.

ولنبدأ أولا بالاستعارة التصريحية، والتي وردت في أحد عشر حديثًا.

المطلب الأول : الاستعارة التصريحية.

الحديث الأول

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ»(١).

من المعلوم أن الاحلام المفزعة، والمنامات الكريهة التي تفزع الإنسان، وتقض مضجعه إنما هي من الشيطان، ودليل ذلك قوله - ﷺ- : «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ... الحديث(٢)، ومن هذه المنامات المفزعة ما رآه هذا الأعرابي من قطْع رأسِه وتدحرجِه، وهو يشتد في أثره لكي يلحقه، ويمسك به؛ لذلك نهاه النبي - ﷺ- أن يحدث بهذا الحلم المفزع، فقال له: " لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ"، ففي هذه الجملة استعارة تصريحية، حيث استعار النبي - ﷺ- التلعب لما فعله الشيطان بهذا الأعرابي في منامه، من تفزيعه بهذ الحلم الكريه.

فالنبي - ﷺ- أراد أن يصور لنا فعْل الشيطان بهذا الأعرابي في منامه، وكأنه يتلعب به تلعب الدمى في يد الأطفال، وهذا دليل على الازدراء به، والاستخفاف بعقله، لذلك ما كان ينبغي لهذا الأعرابي أن يحدث بهذا الحلم.

وسر هذه الاستعارة هو المبالغة في حث هذا الأعرابي على عدم الإخبار بمثل هذه الأحلام، أو ذكرها للناس؛ لأنه عندما يعلم أن هذا من لهو الشيطان به، وعبثه بعقله، لاشك أن هذا سيكون دافعًا كبيرًا له لعدم ذكرها إذا أتت له في المنام، ومن منا يرضى أن يخبر الناس بتلعب الشيطان به، وعبثه بعقله ؟

وقد عبر النبي - ﷺ- بـ(التلعب) بدل(اللعب)؛ لما فيه من الدلالة على التكلف، فالشيطان يشتد في هذا اللعب، ويتكلف في فعله، ويبذل الجهد في القيام به، وهذا يدل على شدة حرصه عليه، واتخاذ

---

(١) رواه: مسلم(٢٢٦٨)، كتاب (الرؤيا).

(٢) رواه: البخاري(٣٢٩٢)، كتاب (بدء الخلق).

كافة السبل لتنفيذه، وهذه المعاني لا تتأتى لو عبر بـ(اللعب)؛ لذلك يجب الحذر من تحديث الناس بألاعيبه في المنام، وتوهيماته في الأحلام، أو اتخاذها مادة للسمر في الأندية والمجالس.

وقد وردت هذه الاستعارة -أيضا- في الحديث الذي رواه عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي صَلَّيْتُ فَلَمْ أَدْرِ أَشَفَعْتُ أَمْ أَوْتَرْتُ. فَقَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : " إِيَّايَ وَأَنْ يَتَلَعَّبَ بِكُمُ الشَّيْطَانُ فِي صَلاتِكُمْ، مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ فَلَمْ يَدْرِ أَشَفَعَ أَوْ أَوْتَرَ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ، فَإِنَّهُمَا تَمَامُ صَلاتِهِ "[1].

هنا أيضا استعار النبي- ﷺ- التلعب لما يفعله الشيطان بالمسلم في صلاته، حيث يوسوس له بما يشغله عن صلاته، ويمنعه من الخشوع فيها.

فالنبي- ﷺ- جعل من يستجيب لوساوس الشيطان، فيسترسل في الأفكار التي تقطع الخشوع في الصلاة، وتلهي عن الانتباه لها، جعله كأنه ألعوبة في يد الشيطان، ومسلاة يتسلى بها، يا لها من صورة مزرية تجعل كل مسلم يحافظ على الخشوع في الصلاة حتى لا تنطبق عليه هذه الصورة، التي يفر منها كل عاقل، ويأنف من الاتصاف بها كل حكيم.

ونلحظ أن النبي - ﷺ- صدر حديثه بقوله: (إياي وأن يتلعب)، فبدأ بتحذير نفسه أولا، ثم انتقل إلى مخاطبة أصحابه بصيغة الخطاب(يتلعب بكم) كراهية أن ينسب النبي- ﷺ- إلى نفسه تلعب الشيطان؛ لأن هذا مما يتنافى مع مقام النبوة، وشرفها الرفيع ، فالنبي - ﷺ- يقول: إذا كنت أحذر نفسي أولا - مع أني نبي معصوم- من تلبيسات الشيطان وتوهيماته في الصلاة، فأنتم أولى بالحذر، وأجدر بالانتباه.[2].

---

(١) رواه: الإمام أحمد في المسند (٤٥٠).

(٢) ينظر : هامش مسند الإمام أحمد ،المحقق: شعيب الأرنـــــــاؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ١/ ٥٠١

وهذا الأسلوب قد ورد في القرآن الكريم في قوله- تعالى - :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ... الآية ﴾[1]، فبدأت الآية بمخاطبة النبي- ﷺ- أولا، ثم انتقلت إلى مخاطبة المؤمنين، وهذا دليل على مدى تأثر النبي - ﷺ- ببلاغة القرآن الكريم، واتباعه في أساليبه.

الحديث الثاني:

عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا لَا يَقْطَعِ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ»[2].

المقصود من قطع الشيطان للصلاة، أنه يشغل المصلي عنها، ويوسوس له بالأفكار التي تأخذ بعقله عن الانتباه لها، والخشوع فيها، فاستعار النبي- ﷺ- قطع الصلاة لوساوس الشيطان الشاغلة للمصلي عن صلاته.

وسر هذه الاستعارة هو المبالغة في التحذير من الاسترسال في وساوس الشيطان أثناء الصلاة، والتأكيد الشديد على مدافعتها حتى لا يذهب خشوعها، وينقص ثوابها. فتصوير هذه الوساوس وكأنها قاطعة للصلاة مبطلة لها، محبطة لثوابها، يجعل كل مسلم حريصا كل الحرص على مدافعة هذه الوساوس عن نفسه، وإبعادها عن عقله أثناء الصلاة.

والصلاة إلى سترة – هي: أي شيء ينصبه المسلم تلقاء وجهه، فيقرب منه، ويصلي إليه، كرمح أو عمود أو شجرة أو حائط وهكذا[3] – فالصلاة إلى هذه السترة، ونصب الوجه إليها لا شك أنه أجمع لقلب المصلي، وأوعب لعقله من التشتت في متاهات الفكر، والاسترسال في مزالقه، كما أن هذه

---

(١) سورة : الطلاق، آية:١

(٢) رواه : أبو داود (٦٩٥)، كتاب(الصلاة).

(٣) ينظر : فقه السنة، سيد سابق ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م ١/ ٢٥٦

السترة والقرب منها يمنع الشيطان من أن يوسوس لأي أحد بالمرور أمامه، أو الاجتياز بين يديه، وفي هذا إشغال له عن صلاته؛ لذلك كان إسناد قطع الصلاة للشيطان، إما لأنه يوسوس للمصلي فيشغله عن صلاته بهذه الوسوسة، وإما لأنه يوسوس لغيره أن يمر أمامه، فيكون شاغلا له أيضا عن صلاته، وفي كلتا الحالتين السترة تمنع من ذلك.

وقد وردت هذه الاستعارة نفسها في الحديث الذي رواه أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ... الحديث[1].

فهنا استعار النبي- ﷺ- أيضا قطع الصلاة لما أراده هذا العفريت منه من إشغاله، ومحاولة جذب انتباهه بعيدا عن الصلاة.

الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»[2].

في هذا الحديث نهيٌ عن رفْع أحدنا السلاح في وجه أخيه، أو الإشارة به إليه على وجه الجد أو الهزل؛ لأن الإنسان قد يندفع في لحظة طيش، أو ساعة غضب، فيصيب أخاه، ويريق دمه. وعندها يكون مأواه جهنم، وبئس المصير، وهذا النهي أتى في صورة الخبر (لا يشير)؛ ليكون أبلغ في الحمل على الاستجابة، وأقوى في المسارعة إلى التنفيذ، حتى لكأنهم قد استجابوا بالفعل؛ لذلك هو- ﷺ- يخبر عن أمر قد وقع، لا أمر يحتمل وقوعه[3].

---

(١) رواه : البخاري (٣٤٢٣)، كتاب (أحاديث ألأنبياء).

(٢) رواه:البخارى(٧٠٧٢) كتاب(الفتن)، ومسلم(٢٦١٧)، كتاب(البر والصلة والآداب).

(٣) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٧٠

وموطن الاستعارة في هذا الحديث قوله – ﷺ– :(لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ)، "وينزع في يده: بكسر الزاي وبالعين المهملة، معناه يرمي في يده، ويحقق ضربته كأنه يرفع يده، ويحقق إشارته، والنزع العمل باليد كالاستقاء بالدلو ونحوه"[1].

فالنبي – ﷺ– استعار الفعل(ينزع) للفعل (يوسوس)، فالشيطان لا يفعل إلا الوسوسة، ولا يقدر إلا على الإغواء، ولكن النبي– ﷺ– صور الشيطان وكأنه بالفعل هو الذي دفع يد هذا الحامل للسلاح حتى أصاب أخاه، إن هذه الاستعارة الرائعة بينت لنا خطورة وساوس الشيطان على حامل هذا السلاح، وصورت لنا أثر هذه الوساوس عليه، وقوتها في حمله على إيذاء أخيه حتى لكأن الشيطان بالفعل هو الذي دفع يده؛ لاقتراف هذا الجرم، واجتراح هذا الذنب.

وقد سلك النبي – ﷺ– مسلك الاستعارة في هذا الحديث؛ ليكون أبلغ في حمل المخاطبين على الاستجابة لنهيه، والانصياع لنصحه؛ لأن من يتخيل وكأن الشيطان هو من يدفع يده، ويوجهها نحو أخيه، لا شك أنه يخشى عندها من حمل السلاح في وجه أخيه، أو الإشارة به إليه.

هذا وقد رُوى هذا الحديث بلفظ (ينزغ) بالغين المعجمة بدل (ينزع)، والنزغ: هو الإغواء والإغراء والإفساد[2]، ومنه قوله – تعالى– :﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]، وعلى هذا يكون الكلام على حقيقته؛ لأن الشيطان بالفعل يغوي الناس، ويفسد فيما بينهم، وبالتالي لا يكون هناك استعارة في هذا الحديث. ولكن علماء الحديث رجحوا الراوية الأولى؛ لأنها هي الأشهر في كتب الحديث، وخاصة صحيحي البخاري ومسلم، بالإضافة إلى أن الجار والمجرور(في يده) يرجح أن الأصح هو (ينزع) لا (ينزغ)؛ لأن الفعل الأول

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين العراقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة : بدون، ٧/ ١٨٤

(٢) ينظر : لسان العرب ٨/ ٤٥٤

(٣) سورة : الاعراف ، آية : ٢٠٠

يتعدىٰ بحرف الجر (في)، وهو ماورد بالفعل في الحديث، أما الثاني فيتعدىٰ بنفسه، بدليل الآية السابقة (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ)[1]. والله أعلم.

الحديث الرابع:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَقْلُ شِبْهِ الْعَمْدِ مُغَلَّظٌ مِثْلُ عَقْلِ الْعَمْدِ، وَلَا يُقْتَلُ صَاحِبُهُ، وَذَلِكَ أَنْ يَنْزُوَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَكُونُ دِمَاءٌ فِي عِمِّيَّا فِي غَيْرِ ضَغِينَةٍ، وَلَا حَمْلِ سِلَاحٍ»[2].

العَقْل: هو الدية ، ومعنىٰ الحديث: " أن قتل شبه العمد يحصل بسبب وثوب الشيطان بين الناس، فيكون القتال بينهم من غير حقد وعداوة، ولا حمل سلاح، بل في حال يعمىٰ أمره، ولا يتبين قاتله ولا حال قتله، ففي مثل هذه الصورة لا يقتل القاتل، بل عليه دية مغلظة مثل دية قتل العمد"[3].

وقد وردت الاستعارة في هذا الحديث في قوله – ﷺ – : " وَذَلِكَ أَنْ يَنْزُوَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ النَّاسِ"، ومعنىٰ ينزو: أي، يثِبُ، والنَّزْوُ هو الوثوب والقفز[4]، وعلىٰ هذا فـ(النَّزْوُ) مستعار لوسوسة الشيطان للناس، وإيقاع العداوة فيما بينهم؛ لحملهم علىٰ التشاجر والتقاتل، حتىٰ يقع منهم جرحىٰ وقتلىٰ.

وتكمن براعة هذه الاستعارة في أن النبي – ﷺ – صور لنا الشيطان، وكأنه واقف وسط الناس، يذهب ليوسوس لهذا بالشر، ويغريه بالفساد، ثم يقفز قفزة سريعة؛ لكي يصل إلىٰ الآخر؛ ليحرضه علىٰ العداوة، ويحثه علىٰ القتال، ثم يقفز إلىٰ آخر وهكذا، فهذه الاستعارة تصور لنا مدىٰ سرعة الشيطان في نشر الفساد، ومدىٰ حرصه علىٰ ذلك، فهو يقفز هنا وهناك حتىٰ يصيب غرضه، ويحصل

---

(١) ينظر : فتح الباري ١٣/ ٢٥ ، مرقاة المفاتيح ٦/ ٢٣٠٠

(٢) رواه : أبو داود (٤٥٦٥)، كتاب (الديات).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٢/ ٢٠١

(٤) ينظر : لسان العرب ١٥/ ٣١٩

هدفه في أسرع وقت، وهذا يدل على مدى تلهفه للإفساد بين الناس والوقيعة بينهم، فكل هذه المعانى لم تتأت إلا من وراء هذه الاستعارة الرائعة البديعة.

الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ... ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثَلَاثًا، «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ»[1].

اتفق شراح الحديث على أن معنى (نفخه) أي: الكبر، لكن اختلفوا في معنى (همزه- نفثه)، فمنهم من ذهب إلى أن (همزه) بمعنى وسوسته، ومنهم من قال: إنها بمعنى الصرع والجنون، أما (نفثه)، فمنهم من قال: إنها السحر، ومنهم من قال المقصود بها الشعر[2].

وعندما ننظر إلى هذه المعانى نجد أن (نفخه) بمعنى الكبر قول صحيح؛ لأن المتكبر ينفخ صدره، ويمط رقبته، وكأنه قد انتفخ.

أما (همزه) فالأقرب للصواب أنها الوسوسة، أما أن تكون بمعنى الصرع والجنون فهذا ضعيف جدا؛ لأن الشيطان لا مدخل له في إصابة الإنسان بالصرع والجنون، فكلاهما له أسباب طبيعية، وعلل جسدية كشف عنها الطب، وأماط عنها اللثام.

أما (نفثه) فالصواب أنها تدل على السحر؛ لأن النفث- وهو النفخ بلا ريق- من فعل السحرة، وهو الوارد في قوله – تعالى- :﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[3]، أما أنها بمعنى الشعر فهذا لا يصح؛ لأنه لا علاقة بين النفث والشعر.

---

(١) رواه : أبو داود(٧٧٥)، كتاب(الصلاة)، والترمذي(٢٤٢)، أبواب (الصلاة).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح ٢/ ٦٧٩، وحاشية السندي على سنن ابن ماجة، نور الدين السندي، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة : بدون ١/ ٢٧٠

(٣) سورة : الفلق، آية: ٤

مما سبق يتضح أن في قوله: (هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ) استعارة تصريحية، أما في قوله: (نَفْثِهِ) ففيها مجاز مرسل علاقته السببية. وبيان ذلك كالتالي:

(الهمز) في اللغة العربية يوضح معناه ابن منظور، فيقول: "همز: هَمَزَ رأْسه يَهْمِزُه هَمْزاً: غَمَزَه...والهَمْزُ مِثْلُ الغَمْزِ والضَّغْطِ، وَمِنْهُ الهَمْزُ فِي الْكَلَامِ لأَنه يُضْغَط. وَقَدْ هَمَزْتُ الحَرْفَ فانْهَمَز...وهَمَزَهُ: دَفَعَهُ وَضَرَبَهُ. وهَمَزْتُه ولَمَزْتُه ولَهَزْتُه ونَهَزْتُه إِذا دَفَعْتَهُ"(١).

من خلال ما سبق يتضح لنا أن النبي – ﷺ– جعل الهمز بمعنى الدفع والضغط مستعارًا لوساوس الشيطان؛ لكي يصور لنا وكأن الشيطان هو الذي يدفعنا بيده، ويضغط علينا بقوته، حتى يحملنا على الانصياع لرغباته، والاستجابة لنزواته. إن هذه الاستعارة تبين قوة وساوس الشيطان على الإنسان، وأثرها البالغ عليه، حتى لكأن هذه الوساوس ليست من قبيل الخواطر والأفكار، وإنما هي يد الشيطان، أو مقارع بيده ينخس بها الإنسان، ويدفع بها في ظهره، حتى يحثه على سرعة الاستجابة لأوامره، وعدم الكسل أو التهاون في تنفيذها.

وقد قصد النبي– ﷺ– هذه الاستعارة؛ حتى يبين للمسلمين خطورة وساوس الشيطان، وأنه لابد من الاستعاذة بالله– عز وجل– حتى يحفظنا من شرها، ويعصمنا من ضررها، وهذه الاستعارة تعد من استعارات القرآن الكريم حيث وردت في قوله – تعالى– : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾(٢).

أما قوله: (ونفخه) فهو استعارة عن وسوسة الشيطان للإنسان بالتكبر على الناس، والتعاظم عليهم، وهذه الاستعارة غاية في الروعة والجمال؛ لأنها تصور الشيطان، وكأنه قد ألقم فمه في فم هذ المتكبر، وأخذ ينفخ فيه حتى انتفخ صدره، وعلا أنفه، وتمطت رقبته، وهذا بالفعل هي صفة المتكبر

(١) لسان العرب ٥/ ٤٢٥-٤٢٦

(٢) سورة : المؤمنون، آية: ٩٧

وهيئته، كما أن هذه الاستعارة الجميلة تثير فينا السخرية من هذا المتكبر، وتحملنا على الضحك عليه، وذلك بسبب منظره الذي هو أثر من آثار لعب الشيطان به، ونفخه إياه.

أما قوله (ونفثه)، فهو مجاز مرسل عن السحر، وعلاقته السببية؛ لأن النفث سبب في السحر، فالسحرة عندما يريدون سحر إنسان فإنهم ينفثون في العقد، كما سبق ذكره.

وسر هذا المجاز أن النبي- ﷺ- أراد أن يصور لنا الشيطان، وكأنه هو الذي ينفث في العقد بنفسه، ويقوم بتحضير هذا السحر بذاته، فالشيطان قد أصبح هو من يتقصد فعل السحر، وإضرار الإنسان به من تلقاء نفسه، وليس أداة في يد الساحر ينفذ ما يأمره به، ويمليه عليه، وهذا لا شك أبلغ في بيان شدة عداوة الشيطان للإنسان، ومدى حرصه الشديد على إيذائه.

إن بلاغة الاستعارة والمجاز المرسل في هذا الحديث تكمن في أنها بينت لنا خطورة الشيطان، ومدى الضرر البالغ الذي قد يلحقه بالإنسان، لذلك يجب علينا أن نستعين بالله عليه، ونستعيذ به منه، وأن لا نتهاون في اللجوء إلى الله – عز وجل-؛ لكي يحفظنا من ضره، ويعصمنا من شره.

الحديث السادس:

عَنْ أَبِي الْيَسَرِ، أَنَّ رَسُولَ - صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو-: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ... الحديث"[1].

في قوله – ﷺ- (يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ) استعارة تصريحة، حيث استعار التخبط لوساوس الشيطان للإنسان عند الموت، والفعل(يتخبط) أصله في اللغة (خبط)، ومعناه كما يقول ابن منظور:" خَبَطَه يَخْبِطُه خَبْطاً: ضَرَبَهُ ضرْباً شَدِيدًا. وخبَط البعيرُ بِيَدِهِ يَخْبِطُ خبْطاً: ضَرَبَ الأَرض بِهَا؛ التَّهْذِيبُ: الخَبْطُ ضرب البعير الشيءَ بخُفِّ يدِه"[2].

---

(١) رواه : أبو داود(١٥٥٢)، أبواب(قيام الليل).

(٢) لسان العرب٧/ ٢٨٠

فالنبي- ﷺ- أراد من وراء هذه الاستعارة تصوير الشيطان، وكأنه قد تمكن من الإنسان عند الموت تمكنًا كبيرًا، واستولى عليه استيلاءً عظيمًا، فأخذ يضربه ضربًا مبرحًا، ويطعنه طعنًا شديدًا حتى أهلكه. وهذه الاستعارة البديعة تصور- أيضا- مدى الضعف الشديد، والوهن البالغ الذي يكون فيه الإنسان، وهو على مشارف الموت. والضعف هنا ليس ضعف الجسد فقط ، وإنما ضعف الإرادة، ووهن التفكير، وخوف المصير الذي سيقبل عليه؛ لذلك قد يستغل الشيطان هذه الحالة، فيوسوس له بما يضره في أمر آخرته، كأن يزين له باطلا، أو يحسن له معصية، فيفعلها فيموت عليها، أو يقنِّطه من رحمة الله- عز وجل -، ويجعله يائسًا من عفوه وغفرانه[1].

إن الغرض من وراء هذه الاستعارة هو المبالغة في بيان خطورة وساوس الشيطان عند الموت؛ لأن الإنسان عندها يكون أضعف ما يكون، وقد تنطلي عليه وساوسه، فيقع في الهلاك من حيث لا يشعر، ولا عاصم من ذلك إلا باللجوء إلى الله – عز وجل – ، والاستعاذة به، كما فعل رسول الله ﷺ.

وقد عبر النبي – ﷺ- بالفعل (يتخبط) بدل الفعل (خبط)؛ للدلالة على شدة الخبط وكثرته، فالزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى – كما هو معلوم- وهذا لا شك أبلغ في بيان خطورة وساوس الشيطان عند الموت.

وهذه الاستعارة إحدى استعارات القرآن الكريم، حيث وردت في قوله-تعالى-:﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ ... الآية ﴾[2]، وهذا يعد دليلا آخر على مدى تأثر النبي – ﷺ- في أساليبه بأساليب القرآن الكريم.

الحديث السابع:

عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا:

---

(١) ينظر : معالم السنن ١/ ٢٩٦

(٢) سورة : البقرة، آية: ٢٧٥

أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا[1]، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[2].

يقول الإمام ابن الأثير في توضيح معنى (يستجرينكم):" أي: لا يستغلبنكم فيتخذكم جَرِيًا، أي: رسولًا ووكيلًا. وذلك أنهم كانوا مَدَحُوه، فكره لهم المبالغة في المدح، فنهاهم عنه، يريد: تكلَّموا بما يحضركم من القول، ولا تتكلفوا كأنكم وكلاءُ الشيطان، ورُسُلُه تنطقون عن لسانه"[3].

ومن خلال ما قاله ابن الاثير يتضح أن قوله: (يستجرينكم) استعارة تصريحية عن (يوسوس لكم)، فالنبي- ﷺ- قصد المبالغة في بيان ما تفعله وسوسة الشيطان بهؤلاء المداحين له، المثنين عليه، لقد بلغت الوسوسة بالمدح مبلغها بهؤلاء الناس، حتى لكأنهم قد أصبحوا وكلاء عن الشيطان أو سفراء ينطقون بكلامه، ويتحدثون بلسانه.

فالنبي- ﷺ- ينهاهم أن يبلغ بهم الشيطان هذا المبلغ، ويصل بهم إلى هذا الحد؛ لذلك أكد هذا النهي بنون التوكيد الثقيلة، حتى يبين لهم خطورة ما قالوه، وفداحة ما فعلوه، ومع أن النبي- ﷺ- لن يتأثر بهذا المدح أو يغتر به، لكنه اشتد في النكير عليهم؛ تعليما للأمة كلها أن كثرة المدح قد تجر الممدوح إلى الغرور، وتدفعه إلى الكبر؛ لذلك ينبغي عدم المبالغة فيه، أو الإكثار منه.

وإذا كان النبي - ﷺ- في هذا الحديث جعل هؤلاء الناس كأنهم وكلاء عن الشيطان، يتكلمون بكلامه الذي أملاه عليهم، فإنه في حديث آخر جعل الشيطان كأنه هو الذي يتكلم بلسان من يوسوس لهم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسولَ اللهِ أَسْلَمْنَا وَقَاتَلَتْكَ الْعَرَبُ وَلَمْ نُقَاتِلْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنَّ فِقْهَهُمْ قَلِيلٌ، وَإِن

---

(١) أعظمنا طولا: أي، أكثرنا عطاء ، ينظر: عون المعبود١٣/ ١١١

(٢) رواه : أبو داود (٤٨٠٦)، كتاب (الأدب).

(٣) النهايـــــة في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ١/ ٢٦٤

الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ وَنَزَلَتْ هَـٰذِهِ الآيَـةُ :﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَـٰمَكُم ... الآية ﴾ (١)(٢).

فهؤلاء القوم أتوا يمنُّون على الرسول – ﷺ- إسلامهم، وهذا لا شك كلام باطل، ووهم كاذب، وهو من وساوس الشيطان لهم، فاستعار النبي- ﷺ- النطق لوسوسة الشيطان، وجعل الشيطان كأنه هو الذي يتكلم بهذا الكلام، وينطق به على ألسنتهم، مبالغة في بيان اتباعهم للشيطان، حتى نطقوا بما ألقاه في قلوبهم من وساوس كاذبة، وأوهام مضللة.

الحديث الثامن:

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ... الحديث "(٣).

ففي قوله: (وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ) استعارة تصريحية؛ لأن اجتال معناه:" ذَهَبَ وَجَاءَ؛ وَمِنْهُ الجَوَلان فِي الْحَرْبِ. واجْتَالَ الشيءَ إِذا ذَهَبَ بِهِ وَسَاقَهُ. والجَائِل: الزَّائِلُ عَنْ مَكَانِهِ "(٤)، فالفعل (اجتال) إذا استعارة عن الفعل (يوسوس).

فالنبي- ﷺ- صور الشياطين، وكأنها تقتلع هؤلاء الناس، وتزيلهم عن دينهم الحق، ثم تسوقهم بين يديها إلى دروب الباطل، ومسالك الضلال، وهذا يدل على عظم وساوس هؤلاء الشياطين؛ لأنها استطاعت أن تبعد هؤلاء الناس عند دينهم الذي آمنوا به، ودرجوا عليه على مر السنين، كما أن هذه

---

(١) سورة : الحجرات، آية: ١٧

(٢) رواه : النسائي في السنن الكبرى(١١٤٥٥)، كتاب(التفسير).

(٣) رواه : الإمام مسلم(٢٨٦٥)، كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

(٤) لسان العرب ١١/ ١٣١

الاستعارة تصور مدى همة الشيطان في إضلال الناس، وصبره على إغوائهم، فمع أن هؤلاء الناس كانوا قائمين على دينهم الحق، مشدودين إليه، غائرة قلوبهم في أحكامه، مغروسة نفوسهم في تشريعاته، لكنه استطاع أن يقتلعهم من هذا الدين، ويجتث جذورهم منه، ثم ساقهم بين يديه إلى ما يريد كما تُساق الأنعام.

يالروعة هذه الاستعارة! ويالبراعة تصويرها للشيطان وما يفعله بالإنسان! ومن هنا ينبغي علينا أخذ الحيطة من وساوسه، والحذر من كيده.

الحديث التاسع:

عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ ضُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: ... فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ»[1].

في هذاالحديث يحذر النبي- ﷺ- من الخروج على الجماعة، وشق عصا الطاعة ، ونشر بذور الفرقة والاختلاف، وجعل ذلك كله من وساوس الشيطان، وملازمته لهم؛ لذلك الركض في هذا الحديث استعارة عن هذه الملازمة.

فقد صور النبي- ﷺ- ملازمة الشيطان لهؤلاء الخارجين على الجماعة بوساوسه، ومداومته على خداعهم والمكر بهم بحيله، صوره وكأنه يركض معهم، فهم يبعدون عن الجماعة، ويوغلون في مفارقتها، وهو معهم كذلك لا يتركهم، كما أن التعبير بالفعل يركض يوحى بمدى إسراع هؤلاء الخارجين على الجماعة في الخروج عليها، ومدى اشتدادهم في السير لمفارقتها، فكأنهم يركضون ركضا لا تواني فيه ولا هوادة، والشيطان معهم في هذا الركض لا يفارقهم؛ لأن ما يفعلونه هو أثر وساوسه، ونتاج أكاذيبه وأباطيله.

وقد قدم النبي- ﷺ- الظرف(مع من فارق الجماعة) على الفعل(يركض)؛ لأن مقصود الحديث هو بيان ملازمة الشيطان لهم، وحرصه على أن يكون في معيتهم، حتى وهذا يناسبه تقديم الظرف؛ لأنه الأهم في مضمون هذا الحديث.

---

(١) رواه : الإمام النسائي في السنن الكبرى(٣٤٦٩)، كتاب(المحاربة).

الحديث العاشر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -،قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»[1].

فقوله: (صفدت الشياطين) يحتمل أن يكون على الحقيقة، أو على المجاز. يقول الإمام النووي - فيما نقله عن القاضي عياض-: " يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن تفتيح أبواب الجنة، وتغليق أبواب جهنم، وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته، ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم. ويحتمل أن يكون المراد المجاز، ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذاؤهم؛ ليصيروا كالمصفدين، ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء ولناس دون ناس، ويؤيد هذا الرواية الثانية فتحت أبواب الرحمة، وجاء في حديث آخر صفدت مردة الشياطين، قال القاضي: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله تعالى لعباده من الطاعات في هذا الشهر، التي لا تقع في غيره عموما كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات، وهذه أسباب لدخول الجنة وأبواب لها، وكذلك تغليق أبواب النار، وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات، ومعنى صفدت غللت، والصفد بفتح الفاء الغل بضم الغين، وهو معنى سلسلت في الرواية الأخرى"[2].

فهنا القاضي عياض يلمح إلى أن الأرجح أن يكون على المجاز، وأن تصفيد الشياطين استعارة عن عدم تمكنهم من إغواء الناس في هذا الشهر الكريم؛ لأن كثيرا من الناس تكثر طاعتهم، ويعظم قربهم من ربهم، وعند ذلك تجد الشيطاين صعوبة في إغوائهم، ومشقة في إضلالهم، فيصبح حال الشياطين، وكأنهم مقيدون بالأصفاد، فلا يستطيعون الفكاك منها؛ لإضلال الناس وإغوائهم.

---

(١) رواه : الإمام مسلم (١٠٧٩)، كتاب(الصيام).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٧/ ١٨٨

لكن ذهب بعض العلماء إلى ترجيح أن الأمر على الحقيقة وليس المجاز، ومنهم الزين ابن المنير، والقرطبي، حيث قالا: الأولى حمله على الحقيقة؛ لعدم وجود ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره[1].

وكلا الاحتمالين مقبول، وإن كان الباحث يرى أن الاحتمال الأول، وهو حمله على المجاز أولى بدليل ما ساقه القاضي عياض من الرواية الثانية لهذا الحديث، وهي: " فتحت أبواب الرحمة "، فهذا يدل على أن المقصود من تفتيح أبواب الجنة هو تفتيح أبواب الرحمة، وهذه قرينة تدل على أن الحديث ليس على حقيقته؛ لأن الصائمين على الأرض لن يستفيدوا شيئا من فتّح أبواب الجنة، وغلّق أبواب النار في السماء، وبالتالي فقوله- ﷺ- : " فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ" كناية عن كثرة العفو والغفران، وكثرة العتق من النيران، وقوله:" وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ " استعارة عن عدم تمكن الشياطين من إغواء الناس في هذا الشهر الكريم، والله أعلم.

في كل الأحاديث السابقة كانت الاستعارة متعلقة بالشيطان، حيث كان المقصود هو تصوير أفعال الشيطان ببني الإنسان، وتجسيد وساوسه في صورة استعارية محسوسة، أي: أن الشيطان هو المستعار له، لكن هناك حديث واحد من أحاديث هذه الدراسة، كان الشيطان هو المستعار.

الحديث الحادي عشر:

وهذا الحديث هو ما رواه أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا الشَّيْطَانَ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا»[2].

مقصود النبي- ﷺ- من هذا الحديث هو تقبيح الشعر الذي فيه دعوة إلى الخلاعة والمجون، ويترتب عليه نشر الفساد والرذيلة، أو الشعر الذي فيه الدعوة إلى الباطل، وغمط الحق، أو إراقة ماء الوجه في مدح من لا يستحق المدح طلبا لماله، واستجداء لنواله. أما الشعر الذي يدعو إلى الحكمة،

---

(١) ينظر : فتح الباري ٤/ ١١٤

(٢) رواه: مسلم(٢٢٥٩)، كتاب (الشعر).

وينشر الفضيلة، ويكون سلاحا للدفاع عن الدين فليس هذا داخلا في ذم الرسول- ﷺ- ويبدو أن هذا الشاعر الذي ورد فيه هذا الحديث كان ينشد شعرا من النوع الأول[1].

فالنبي- ﷺ- أراد تقبيح هذا الشاعر بأن استعار لـه لفـظ الشـيطان؛ لكـي يصـوره في عيـون أصحابه، وكأنه شيطان على الحقيقة، وذلك لتقبيح أمره، وتشنيع شعره؛ لذلك أمرهم بأن يأخذوه، ويمنعوه من إنشاد هذا الشعر بالقوة. وفائدة هذه الاستعارة هو بيان قبح هذه الأشعار التي تدعو إلى الخلاعة والمجون، أو الأشعار التي تلبس الباطل ثوب الحق، وأن مثل هذه الأشعار تجعل صاحبها كأنه شيطان على الحقيقة؛ لأن ذلك مما يدعو إليه الشيطان، ويحب إيقاع الناس فيه.

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٤-١٥ ، ومرقاة المفاتيح ٧/ ٣٠٢٤

المطلب الثاني : الاستعارة التمثيلية.

وقد وردت هذه الاستعارة في أحد عشر حديثًا من أحاديث هذا البحث.

الحديث الأول:

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ، فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَقَالَ: «بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»(١).

اختلف العلماء في فهم قول النبي- ﷺ- (بال الشيطان في أذنه)، منهم من حمله على الحقيقة، وهذا غريب جدا، وإلا فأين هذا البول، وكثير من الناس ينامون عن صلاة الفجر، ولا يشعرون بشيء في آذانهم، ثم ما فائدة هذا الفعل لو كان الشيطان يفعله على الحقيقة؟ وهل من المعقول أن يمكن الله-عز وجل- الشيطانَ من العبث ببني آدم على هذا النحو المزري والمشين؟.

ومنهم من جعله من قبيل التشبيه التمثيلي، حيث شبه ثِقَل نومه، وغفلته عن الصلاة بحال من يُبال في أذنه، فيصم سمعه، وتثقل رأسه، وهذا القول ضعيف أيضا؛ لأن المشبه وهو ثقل نومه، وغفلته عن الصلاة لم يجر له ذكر في الحديث، وإنما هو مفهوم من سياق الكلام، ولا يكون التشبيه تشبيهًا إلا بذكر المشبه، فإذا طوي ذكره خرج من باب التشبيه إلى باب الاستعارة.

ومنهم من جعله من قبيل الاستعارة عن تمكن الشيطان من الإنسان النائم عن صلاة الفجر، وتمام التحكم فيه(٢).

وهذا القول هو الأقرب للصواب، فالنبي- ﷺ- أتى بهذه الصورة المعبرة من وحي خياله وإلهام نفسه، صورة الشيطان وقد قهر هذا الرجل قهرا، حتى قيده، وشد وثاقه، وأخذ يبول في أذنه نكاية فيه، وإمعانا في إذلاله، وكسر هيبته، وتحطيم نفسه، فهذه الصورة الجميلة الموحية استعارها النبي- ﷺ- لتحكم الشيطان في هذا الرجل النائم عن طريق وساوسه، حتى نوَّمه عن صلاة الفجر، وعوقه عن القيام لها.

---

(١) رواه: البخاري(١١٤٤)، كتاب(التهجد)، ومسلم(٧٧٤)، كتاب (صلاة المسافرين).

(٢) تنظر هذه الأقوال: فتح الباري٣/ ٢٨

كما أن في هذه الصورة كناية رائعة عن مدى استخفاف الشيطان بهذا النائم، وازدرائه له، وهل هناك ازدراء واستخفاف أكثر من البول في الأذن، وإفراغ الفضلات فيها؟

وتتجلى براعة النبي – ﷺ – في هذه الصورة باختياره الأذن دون غيرها؛ وكذلك البول دون غيره؛ لأن الاستيقاظ من النوم إنما يكون عن طريق الأذن عند سماع الأصوات، وإدراك المنبهات، فإذا ما مُنعت الأذن من السماع، وضُرب عليها بحجاب غليظ، عندها يكثر النوم، ويصعب الاستيقاظ، كما قال – تعالى – عن أصحاب الكهف: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾[1]. أما البول فلأنه أسهل نفاذًا، وأوسع انتشارًا من غيره، فهي إشارة من النبي – ﷺ – أن وساوس هذا الشيطان قد تمكنت من هذا النائم، حتى لكأنها قد أثقلت رأسه، وسدت أذنه، ثم فاضت فسرت في عروقه، ونفذت إلى أوصاله، حتى أثقلت جسده كله عن القيام لصلاة الفجر، والنهوض لأدائها[2].

الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: " يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ "[3].

اختلف العلماء في معنى هذا الحديث على قولين[4]:

---

(١) سورة: الكهف، آية: ١١

(٢) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الطيبي، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار – مكة المكرم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ٤/ ١٢٠٢

(٣) رواه: البخاري(٣٢٦٩)، كتاب(بدء الخلق)، ومسلم(٧٧٦) كتاب(صلاة المسافرين).

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٦٥ ، ومرقاة المفاتيح ٣/ ٩٢١

الأول: أن الشيطان يفعل هذا الفعل بالإنسان على الحقيقة، وأنه يأتي بخيط ويعقده على قافية الرأس، وهي مؤخرته، ويفعل كما يفعل السحرة، حيث ينفث على هذه العقد، ويقول على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد.

الثاني: أنه من قبيل الاستعارة، حيث استعار النبي – ﷺ– هذه الصورة لوسوسة الشيطان لهذا النائم بأن يكمل نومه، ولايستيقظ لصلاة الفجر.

وكلا القولين محتمل؛ لأن هذا من الأمور الغيبية التي لا دخل للعقل فيها، وإن كان الأقرب للصواب أن يكون من قبيل الاستعارة التمثيلية؛ لأن الشيطان أصلًا لا يحتاج أن يفعل هذا الفعل بالنائم، فيكفيه أن يوسوس له بإكمال النوم، وأن يخدعه بطول الليل، حتى ينال حظه منه، وإذا كان الشيطان يبلغ بوسوسته أن يقيم الدنيا ولا يقعدها، عن طريق إقامة الحروب، وإثارة النزاعات، حتى تعم الفتن، ويكثر القتل، وتجري الدماء أنهارًا كل ذلك بلا عقد العقد، أو النفث عليها، أفلا يمكنه أن ينيم الإنسان عن صلاة الفجر كذلك بالوسوسة؟!

إن القول بالحقيقة يضيع على البلاغة صورة من أبدع صورها، واستعارة من أروع استعاراتها، صورة الشيطان وأمامه رأس الإنسان، يعقد عليه بالعقد، وينفث عليه بالسحر، حتى لكأن هذا النائم قد أصبح مسحورًا، قد تغلب الشيطان على عقله، وتمكن من قلبه، فأصبح يقذف فيه بالأحلام الخادعة، والأماني المضللة، حتى استنام لوهمه، وركن لباطله، فصده عن الصلاة، والاستيقاظ لها.

إن هذه الصورة الرائعة توضح أن هذا النائم قد أصبح أسيرًا لسحر الشيطان، ولا يستطيع أن يفك قيود هذا السحر، أو يتخلص من أغلاله إلا إذا ذكر الله –عز وجل–، وتوضأ، وقام للصلاة، عندها تنفك القيود، وتتحطم الأغلال، وتنحل العقد، وما هذه العقد إلا وساوس الشيطان بالخلود للنوم، وحلُّها العلم بكذبها مع مقاومتها، وعدم الركون إليها، وعندها يستيقظ النائم لأداء الصلاة، فيصبح طيب النفس بعد أن كان خبيث النفس كسلان[1].

---

(١) ينظر: فتح الباري ٣/ ٢٥

وقد اختار النبي – ﷺ– الرأس؛ لأن المقصود من هذه الصورة تمام تمكن الشيطان من الإنسان، والرأس هو موضع القيادة من الجسد، وأساس التحكم فيه، فإذا تم التمكن منه، وإحكام القبضة عليه، سهُل قهر الإنسان والسيطرة عليه.

كما جعل النبي– ﷺ– عَقْدَ هذه العقد على مؤخرة الرأس؛ للإشارة إلى مكر الشيطان وخداعه، فهو أجبن من أن يأتي للإنسان بالمواجهة، وإنما يأتيه من خلفه، وعلى حين غرة منه ، كما يفعل أرباب الخسة والندالة.

ومن مواطن البراعة في هذه الصورة، أن النبي – ﷺ– جعل العُقَد ثلاثا، حتى تتوافق مع الخطوات الثلاث التي بها يتم التخلص من أسر الشيطان وقبضته، وهى الذكر والوضوء والصلاة.

الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ»(١).

يقول الإمام النووي في بيان معنى هذا الحديث: " قال العلماء: الخيشوم أعلى الأنف، وقيل: هو الأنف كله، وقيل: هي عظام رقاق لينة في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، وقيل: غير ذلك، وهو اختلاف متقارب المعنى. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: يحتمل أن يكون قوله– صلى الله عليه وسلم– فإن الشيطان يبيت على خياشيمه على حقيقته، فإن الأنف أحد منافذ الجسم التي يتوصل إلى القلب منها ... قال: ويحتمل أن يكون على الاستعارة، فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان والله أعلم"(٢).

من خلال ما قاله الإمام النووي يتضح أن العلماء حملوا بيات الشيطان على الخيشوم إما على الحقيقة، وإما على الاستعارة، والراجح والله أعلم أنه على الاستعارة؛ لأن الرسول– ﷺ– أمر

---

(١) رواه: البخاري(٣٢٩٥)، كتاب(بدء الخلق)، ومسلم(٢٣٨)، كتاب(الطهاة).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ١٢٧

بالاستنثار عند الاستيقاظ من النوم، والاستنثار هو الاستنشاق، وهذا الأمر مقصود منه نظافة الأنف مما علق بها من غبار أو رطوبة أثناء النوم، إذاً الأمر مقصود به الطهارة والنظافة من أشياء مادية محسوسة في الأنف، أما لو حملنا بيات الشيطان على الحقيقة، فإن الأمر بالاستنثار لن يكون له معنى ولا قيمة، فما فائدته في الأنف بعدما قضى الشيطان ليلته نائما فيه؟ وهل للشيطان آثار محسوسة من أثر بياته حتى يأتي الوضوء ليطهر الأنف من هذه الآثار؟ وهل ضاقت الدنيا على الشيطان حتى لم يجد مكانا يقضي فيه ليلته إلا أنف هذا النائم؟ كل هذا مما يرجح أن الحديث مداره على الاستعارة ، وليس الحقيقة.

وهذه الاستعارة من قبيل الاستعارة التمثيلية، وهي استعارة غاية في الإبداع والروعة، فالرسول – ﷺ– لكي يحث المخاطبين على المبالغة في تطهير أنوفهم مما علق بها أثناء النوم من غبار ورطوبة، ولكي يحرضهم على الانصياع لهذا الأمر، صور هذا الغبار وهذه الرطوبة، وكأنهما من آثار نوم الشيطان في أنوفهم، وبقية من بواقي فضلاته، وهي صورة تنفر منها النفوس، وتستبشعها العقول، وهذا مما يحمل المخاطبين على سرعة الامتثال للأمر بتنظيف أنوفهم مما يبدو وكأنه من فضلات الشيطان، وأثر من آثار نومه.

كما أن في هذه الصورة الرائعة كناية عن رضا الشيطان وفرحه بهذه الأوساخ التي تكون في الأنف من أثر النوم؛ لأن الشيطان يرضى بكل ما يعيب الإنسان، ويفرح بكل ما يشينه، ويشوه منظره. فهو لا يريده إلى في أردأ مظهر وأسوأ حال، بينما الإسلام يريد من المسلم أن يكون على أحسن الأحوال، وأكمل الهيئات، وذلك لا يكون إلا بالطهارة والنظافة[1].

الحديث الرابع:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «إِيهٍ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[2].

---

(١) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣/ ٧٩٣، و طرح التثريب ٢/ ٥٣

(٢) رواه: البخاري(٣٢٩٤)، كتاب(بدء الخلق)، ومسلم(٢٣٩٦)، كتاب(الفضائل).

يقول الإمام النووي:" الفج: الطريق الواسع، ويطلق أيضا على المكان المنخرق بين الجبلين، وهذا الحديث محمول على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمر سالكا فجا هرب هيبة من عمر، وفارق ذلك الفج، وذهب في فج آخر؛ لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئا، قال القاضي: ويحتمل أنه ضرب مثلا لبعد الشيطان وإغوائه منه، وأن عمر في جميع أموره سالك طريق السداد، خلاف ما يأمر به الشيطان. والصحيح الأول"[1].

هنا رجح الإمام النووي أن الكلام على حقيقته، وتبعه في ذلك الإمام ابن حجر في فتح الباري[2].

لكن عندما نمعن النظر نجد أن الشيطان يعلم أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- لا يراه، كما قال - تعالى-: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3]، فالشياطين تري الإنسان، ولا يراها الإنسان، وما دام الأمر كذلك فالشيطان في مأمن من أن يصيبه أذى من عمر- رضي الله عنه- أو يناله منه بطش؛ لأن عمر لا يراه أصلًا ، إذاً ما الذي يجعل الشيطان يخاف من عمر، بل ويفر منه إذا رآه في الطريق؟ هذا بالإضافة إلى أن قرين الإنسان من الشياطين لا يفارقه أصلا، لا في ليل ولا نهار، ويظل ملازمًا له حتى يوسوس له بكل شر، ويصده عن كل خير، وعمر- رضي الله عنه- في هذا شأنه كشأن كل البشر، فهذا القرين قدَرٌ قدره الله - عز وجل - على كل بني آدم، حتى يتم الابتلاء ، ويصح الاختبار في هذه الحياة، وما دام هذا القرين ملازمًا لعمر- رضي الله عنه- فكيف يصح إذًا أن الشيطان يفر منه عندما يراه في الطريق؟

ما سبق يرجح أن مقصود النبي- ﷺ- هو الاستعارة التمثيلية، لبعد الشيطان عن إغواء عمر- رضي الله عنه-، وعدم التمكن من النيل منه بإضلاله، فالنبي - ﷺ- أراد أن يبين مدى ضعف الشيطان أمام قوة إيمان

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٦٥-١٦٦

(٢) ينظر : فتح الباري ٧/ ٤٧-٤٨

(٣) سورة : الأعراف، آية: ٢٧

عمر، وشدة خشيته من الله -عز وجل-؛ لذلك أتى بهذه الصورة التعبيرية الرائعة، صورة الشيطان وهو يفر خوفا، ويهرول فزعا عندما يرى عمر سائرا في طريقه، ماضيا لحاله.

وقد اختار النبي- ﷺ- التعبير بـ(الفج)، وهو الطريق الواسع؛ ليكون أبلغ في مدى خوف الشيطان وشدة هلعه، فمع أن الطريق واسع، ويكفيه أن ينتحي جانبا منه حتى لا يراه عمر- رضي الله عنه- ولكن الشيطان لشدة خوفه ترك الطريق كله، وسلك طريقا آخر.

كما آثر النبي - ﷺ- التعبير بالفعل (لقيك) بدل (رآك)؛ ليدل على هول المفاجأة، وتمام المباغتة، فالشيطان كان سائرا في طريقه في حالة وادعة هادئة، ثم فجأة لقي عمر- رضي الله عنه- فلم يتمالك نفسه من شدة الخوف، وهول الفزع، وعندها أطلق ساقيه للريح، ففر هاربا لا يلوي على شيء. وهذا مما يؤكد على صلابة عمر في دينه، وقوته في إيمانه، إلى درجة أعجزت الشيطان عن النيل منه ، وأيأسته من إغوائه وإضلاله.

الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ... الحديث[1].

اختلف شراح الحديث في قوله - ﷺ- : "له ضراط" فمنهم من جعله على الحقيقة، وأن الشيطان بالفعل يخرج من دبره ضراط من شدة الهول والفزع، ومنهم من حمله على الاستعارة عن شدة الخوف و الهلع، الذي يعتري الشيطان عند سماع الأذان والإقامة[2].

ولكن الباحث يرى- والله أعلم- أن الأقرب للصواب حمله على الاستعارة التمثيلية؛ لأن الضراط هو من خصائص أجساد البشر المخلوقة من الطين، أما الشياطين فمخلوقة من نار، لذلك

---

(١) رواه : البخاري(٦٠٨)، كتاب(الأذان)، ومسلم(٣٨٩)، كتاب(الصلاة).

(٢) ينظر: فتح الباري ٢/ ٨٥ ، وطرح التثريب٢/ ٢٠٢

خصائص أجسادها ليست كخصائص أجساد البشر؛ لذلك من المستبعد أن يكون لها ضراط كضراط البشر.

وقد رجح- أيضا- الإمام العيني أن هذا من قبيل التمثيل، ورد على من قال أنه على الحقيقة، فقال:" وقال عياض: يمكن حمله على ظاهره؛ لأنه جسم منفذ يصح منه خروج الريح. قلت: هذا تمثيل لحال الشيطان عند هروبه من سماع الأذان بحال من خرقه أمر عظيم، واعتراه خطب جسيم، حتى لم يزل يحصل له الضراط من شدة ما هو فيه؛ لأن الواقع في شدة عظيمة من خوف وغيره تسترخي مفاصله، ولا يقدر على أن يملك نفسه، فينفتح منه مخرج البول والغائط. ولما كان الشيطان لعنه الله يعتريه شدة عظيمة وداهية جسيمة عند النداء إلى الصلاة، فيهرب حتى لا يسمع الأذان، شبه حاله بحال ذلك الرجل، وأثبت له على وجه الادعاء الضراط الذي ينشأ من كمال الخوف الشديد. وفي الحقيقة ما ثم ضراط"[1].

وعلى هذا فالرسول - ﷺ- شبه حال هذا الشيطان بحال من أصابه خوف شديد ورعب عظيم، فخرج منه الضراط وهو يمعن في الفرار، ويسعى في الهروب ممن يخاف شدته، ويخشى صولته، ثم حذف المشبه، وجعل المشبه به مستعارا له، فهذه الصورة البديعة المستوحاة من واقع البشر أراد النبي- ﷺ- أن يجعلها استعارة تمثيلية، يمثل بها حال الشيطان عند سماع الأذان والإقامة، ويوضح بها مدى الرعب والهلع الذي لحقه من ورائهما.

ويجوز أن يكون قوله : " وله ضراط " كناية- أيضا- عن شدة الفزع، وعظم الهلع الذي لحق بالشيطان، ولا مشاحة في حمله على أي الأسلوبين ما داما يؤديان المعنى نفسه، ويصلان إلى الغاية ذاتها.

الحديث السادس:

عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ- : " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ " قَالَ: " فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ، وَسَمَاءَكَ،

---

(١) عمدة القاري ٥/ ١١١

وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ[1] " قَالَ: " فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ " قَالَ: " ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ، وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ " قَالَ: " فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ... الحديث[2].

تعد الاستعارة التمثيلية في هذا الحديث من أروع الاستعارات وأبدعها، حيث جسد لنا النبي –ﷺ– في صورة بديعة معبرة حال الشيطان مع الإنسان، وكيف يحاول أن يثنيه عن الأعمال الصالحة، والقربات الفاضلة بشتى السبل، وبضروب من الحيل، فصور الأعمال الصالحة وكأنها طرق، هذا طريق للإسلام، وهذا طريق للهجرة، وآخر للجهاد وهكذا، والشيطان قاعد للإنسان على هذه الطرق، يريد أن يمنعه من اجتيازها، والمرور فيها. والشيطان لايستخدم القوة للمنع، والبطش للصد، وإنما يلبس لبوس الناصحين، ويتزيا بزي الواعظين، فيتحيل عليه بمعسول من الكلام، وزخرف من القول، حتى يقطع عليه طريقه، ويمنعه من السير فيه، ولكن المؤمن الصالح يعلم مكره، ويكشف خداعه، فيعصيه ويظل سائرا في طريقه، ماضيا لمرضاة ربه.

إن هذه الصورة البيانية الرائعة، إنما هي استعارة عن وسوسة الشيطان للإنسان، ومحاولة صده عن طاعة الله–عز وجل–، وإبعاده عن السير في مرضاته، وهي صورة كلية مكونة من أجزاء تعاونت على إخراج هذه الصورة الكلية بهذا الشكل البديع الرائع، فالطرق مستعارة للأعمال الصالحة، وقعود الشيطان مستعار لمحاولة صده عن هذه الأعمال الصالحة، وأقوال الشيطان التي يحاول خداع المؤمن بها مستعارة للوساوس التي يوسوس بها الشيطان لهذا المؤمن.

---

(١) قال السندي: "في الطِّوَل"– بكسر الطاء وفتح الواو– وهو الحَبْلُ الذي يُشَدُّ طرفُه في وتد، والآخر في يد الفرس، وهذا من كلام الشيطان، ومقصوده أن المهاجر يصيرُ كالمقيد في بلاد الغربة، لا يدورُ إلا في بيته، ولا يخالِطه إلا بعض معارفه، فهو كالفَرَس في طِوَلٍ لا يدور ولا يرعى إلا بقدره، بخلاف أهل البلاد، فإنهم مبسوطون لا ضيق عليهم، وأحدهم كالفرس المرسل". حاشية السندي على مسند أحمد ٣/ ٦٢٢

(٢) رواه : الإمام أحمد في المسند (١٥٩٥٨).

وقد تأثر النبي- ﷺ- في الصورة الرائعة ببلاغة القرآن الكريم، حيث ورد مثل هذه الاستعارة في قوله- تعالى- :﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾[1]، ولكن استعارة القرآن الكريم كانت مجملة، وهذا هو المناسب لأسلوب القرآن وبلاغته، أما النبي - ﷺ- فقد زاد على استعارة القرآن بعض التفصيل؛ لأن دور النبي- ﷺ- بالنسبة للقرآن الكريم هو تفصيل المجمل، وتوضيح المبهم، والتفصيل الذى أضفاه على هذه الاستعارة أنه أتى ببعض الأعمال وجعل لكل عمل طريقًا، ثم أتى ببعض وساوس الشيطان التي يحاول خداع المؤمن بها، وصده عن العمل الصالح بسببها، وجعلها أقوالًا يخاطب الشيطان بها الإنسان.

ومن الملاحظ في هذه الصورة البيانية أن النبي- ﷺ- رتب الأعمال حسب أهميتها فبدأ بالإسلام ثم الهجرة ثم الجهاد، كما أن هذا الترتيب هو المتوافق مع حال المسلمين أول الإسلام، حيث كانت الهجرة مقدمة على الجهاد، كما عبر النبي- ﷺ- بأسلوب الاستفهام الإنكاري، وهو يعرض حجج الشيطان الخادعة، وبراهينه الزائفه، وقد كرر هذا الأسلوب؛ لكي يكون أبلغ في لفت الذهن، وجذب الانتباه، كما أن تكراره بهذه الصورة يوحي بمدى شفقة الشيطان على هذا الإنسان، ومدى حبه له، وبالطبع هي شفقة الخائن، ومحبة الكاذب، الذي يريد المكر، وينوي الغدر.

وهناك حديث آخر يشبه هذا الحديث، وهو ما رواه عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا "، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ " ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ... الآية ﴾[2][3].

---

(١) سورة : الأعراف، آية: ١٦-١٧

(٢) سورة : الأنعام، آية: ١٥٣

(٣) رواه : الإمام أحمد في المسند (٤٤٣٧).

ففي هذا الحديث جعل النبي- ﷺ- الشيطان على رأس هذه الطرق؛ لكي يدعو الناس إليها، ويرغبهم في سلوكها، وهذه الطرق هي طرق البدع والضلالة، وهذا بخلاف الحديث السابق الذي جعل فيه النبي- ﷺ- الطرق هي طرق الأعمال الصالحة من إسلام وهجرة وجهاد، فالاستعارة التمثيلية واحدة في كلا الحديثين، وهي استعارة صورة الشيطان وهو يقف على الطريق، ولكن الاختلاف أن الطرق في الحديث الأول، والتي يريد الشيطان صده عن المرور فيها مستعارة للأعمال الصالحة، والطرق في الحديث الثاني، والتي يريد الشيطان إغواءه بسلوكها، والسير فيها مستعارة للبدع والضلالات.

ومن أوجه الاختلاف بين الحديثين، أن النبي- ﷺ- استخدم الرسم في الحديث الثاني، وجعله مشبها به، حيث خط خطا واحدا مستقيما، وجعله مشبها به لطريق الإسلام الصافي النقي من شوائب البدعة والضلالة، ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله، وجعلها مشبها به لطرق البدع والضلالات التي يخدع الشيطان بها الناس، فيبعدهم عن صراط الله المستقيم(١).

كما جعل هذا التشبيه من قبيل التشبيه البليغ، حيث حذف أداة التشبيه ووجه الشبه؛ ليكون أبلغ في بيان قوم المشابهة، وتمام المماثلة، وهذا بدوره يؤدي إلى مزيد توضيح للمعنى، ومزيد تأكيد عليه.

الحديث السابع:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلاَةِ؟ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ»(٢)(٣).

من المعلوم أن الالتفات في الصلاة يقطع عن العبد خشوعها، وينقص منه ثوابها، وهو عمل محبب للشيطان مرغوب لديه؛ لذلك يحرض المصلي على فعله، ويغريه بالإتيان به، فأراد النبي- ﷺ-

---

(١) ينظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله المباركفوري ، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهندالطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م ١/ ٢٦٥

(٢) الاختلاس: هو الاختطاف بسرعة. ينظر: فتح الباري ٢/ ٢٣٥

(٣) رواه: البخاري(٧٥١)، كتاب(الأذان).

أن يصور لنا هذا المعنى، ويجسده أمام أعيننا، حتى نأخذ حذرنا، ونحتاط لأمرنا، فصور النبي- ﷺ- الصلاة وكأنها كنز ثمين، أو مال نفيس، والمصلي هو صاحب هذا الكنز يقوم على حراسته، ويتخذ كل السبل لصيانته، والشيطان كأنه سارق ماكر، أو لص غادر يترصد لصاحب هذا الكنز، يريد أن يلتمس غرته، ويغتنم غفلته؛ لكي يسرق منه ما يستطيع من كنزه، أو يختطف ما يستطيع من ماله، فإذا واتته الفرصة، وأمكنته المناسبة فإنه يختطف منه خطفة، ثم يفر هاربا في لمح البصر، أو في سرعة البرق.

فهذه الصورة الرائعة جعلها النبي- ﷺ- استعارة تمثيلية لوسوسة الشيطان للمصلي بالالتفات في صلاته، وما يترتب على هذا الالتفات من نقص في ثوابها، وقطع لخشوعها[1].

وتكمن براعة هذه الصورة أن الرسول- ﷺ- قالها على البديهة، فهي جواب عن سؤال وُجِّه إليه عن الالتفات، فأخرج النبي- ﷺ- الجواب في صورة غاية في الروعة والإبداع، وهذا يدل على أن البلاغة كانت تجري على لسانه عفو الخاطر، ووحي البديهة، فلم يكن يكدُّ ذهنه في إنشاء أساليبها، ولا يتكلف في التقاط صورها، أو يتعنَّى في استخراج لآلئها، بل كانت البلاغة تجري على لسانه جري الماء في الغدير، وتفيض من كلامه فيضان النهر في الوادي، فلا عائق من تكلف يصدها، ولا عقبة من تصنُّع تحول دونها، فسبحان من علمه هذا البيان، ومنحه هذا اللسان.

الحديث الثامن:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : " صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَلَا تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ "[2].

ففي قوله – ﷺ- :(خلقت من الشياطين) استعارة تمثيلية، حيث استعار هذه الصورة، صورة الإبل وهي تُخلق من الشياطين، وتتوالد منها، استعارها لكثرة نفور الإبل، وازدياد حركتها.

---

(١) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣/ ١٠٧٠

(٢) رواه : الإمام أحمد في المسند(١٦٧٩٩).

وسر هذه الاستعارة البديعة أن الإبل – كما هو معروف– يكثر نفورها، ويعظم شرودها، وتزداد حركتها؛ لذلك غالبا ما تشغل المصلي عن صلاته، وتفسد عليه خشوعه، فهي قد أشبهت الشياطين في أنها تشغل المصلي أيضا بوساوسها، وتقطع عليه خشوعه بهواجسها؛ لذلك جعلها وكأنها مخلوقة من الشياطين، وهذا بخلاف الغنم، فهي هادئة في طباعها، قليلة في حركتها، مستكينة في مرابضها، لذلك لا تؤثر على المصلي أثناء صلاته، وهذا هو السبب الذي من أجله أمرنا النبي – ﷺ– أن نصلي في مرابض الغنم ، دون أعطان الإبل(١).

والغرض من وراء هذه الاستعارة هو المبالغة في بيان أثر حركة الإبل في إشغال المصلي، وإلهائه عن صلاته، حتى لكأنها هي والشياطين من جنس واحد، وبالتالي يجب على كل مسلم الحذر من الصلاة في معاطن الإبل، حتى لا تَفسد صلاتُه، ويَذهب خشوعُها.

وكالعادة في مثل هذه الأحاديث أخذ بعض العلماء بظواهرها، وذهبوا إلى أن الإبل خلقت بالفعل من الشياطين، وهذا ضعيف جدا، ومخالف للعلم والواقع(٢).

---

(١) ينظر : معالم السنن ١/ ١٤٩، وحاشية السندي على سنن ابن ماجة ١/ ٢٥٩

(٢) ينظر : عمدة القاري ٤/ ١٨١

الحديث التاسع:

ومما يؤيد أن مقصود النبي- ﷺ- في الحديث السابق هو بيان كثرة نفور الإبل، وعظم شرودها ما رواه أَبُو لَاسٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: حَمَلَنَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى إِبِلٍ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ لِلْحَجِّ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَرَى أَنْ تَحْمِلَنَا هَذِهِ. قَالَ:" مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا فِي ذُرَّوَتِهِ شَيْطَانٌ، فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا إِذَا رَكِبْتُمُوهَا كَمَا أَمَرَكم ، ثُمَّ امْتَهِنُوهَا لِأَنْفُسِكُمْ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ اللهُ "[1].

فمن المعلوم أن الشياطين أجساد خفيفة في حركتها، سريعة في أفعالها، وقد بين ذلك القرآن الكريم، ففي قوله - تعالى- : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ... الآية ﴾[2] شبه ثعبان موسى - عليه السلام- بالجن في خفته، وسرعة حركته. ولما كانت الإبل كثيرة الحركة، سريعة النفور جعلها النبي- ﷺ- كأنها مخلوقة من الشياطين كما في الحديث السابق، أما في هذا الحديث فقد جعل النبي- ﷺ- الشيطان كأنه راكب على ظهر الإبل، فقال :(مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا فِي ذُرَّوَتِهِ شَيْطَانٌ)، وهذا أيضا على سبيل الاستعارة التمثيلية، حيث استعار هذه الصورة؛ لكي يصور لنا سرعة نفور الإبل، وكثرة شرودها وجموحها، وكأنها أثر من آثار ركوب الشيطان عليها، فهو الذي يدفعها إلى ذلك ، ويحرضها عليه.

والغرض من وراء هذه الاستعارة الطريفة، بيان شدة نفور الإبل، مما يتطلب الاستعانة بالله -عز وجل- عند ركوبها، وذلك بذكر اسمه، ثم كثرة امتهانها بالحمل عليها حتى تلين وتذل، وتسلس القياد لصاحبها، وهذا هو ما أرشدنا إليه النبي - ﷺ- في هذا الحديث.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن معنى (فِي ذُرَّوَتِهِ شَيْطَانٌ) أي: الكبر، فالإنسان عندما يركب ظهر البعير قد يصيبه الكبر بركوبها، والفخر بامتطائها، ولما كان الشيطان هو من يدعو إلى

---

(١) رواه: الإمام أحمد في المسند(١٧٩٣٨).

(٢) سورة: النمل، آية:١٠

الكبر، فقد عبر بالشيطان عن الكبر على سبيل المجاز المرسل، وعلاقته السببية؛ لأن الشيطان هو السبب في هذا الكبر[1].

ولكن الأصح هو المعنى الأول، بدليل سياق الحديث، الذي أمر بذكر الله-عز وجل- عند ركوبها، مع امتهانها بكثرة الحمل عليها؛ حتى تلين وتخضع لصاحبها.

الحديث العاشر:

عَنْ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ قَالَتْ: كُنْتُ أُسْتَحَاضُ حَيْضَةً كَثِيرَةً شَدِيدَةً، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَسْتَفْتِيهِ وَأُخْبِرُهُ، ... فَقَالَ: «إِنَّمَا هِيَ رَكْضَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَتَحَيَّضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِي عِلْمِ اللهِ، ثُمَّ اغْتَسِلِي... الحديث[2].

الاستحاضة: هي الدم الذي يخرج من المرأة في غير أيام الحيض المعتادة، وهو دم لا يمنع الصلاة والصوم[3].

في هذا الحديث جعل النبي- ﷺ- دم الاستحاضة كأنه ركضة من ركضات الشيطان " وأصل الرَّكض: الضرب بالرِّجل والإصابة بها، كما تُركضُ الدَّابةُ وتُصَاب بالرَّجلِ، أراد الإضرار بها والأذى، المعنى: أنَّ الشيطان قد وجد بذلك طريقًا إلى التلبيس عليها في أمر دينها وطهرها وصلاتها، حتى أنساها ذلك عادَتها، وصار في التقدير كأنه ركضة بآلة من رَكَضَاته"[4].

فالشيطان لم يركض رحم المرأة على الحقيقة حتى يخرج منه الدم، وإنما خروج الدم أمر طبيعي لا دخل للشيطان فيه، ولكن لما كان الشيطان يلبِّس على المرأة أمر عبادتها عن طريق هذا الدم، ويجعلها في حيرة من أمرها هل تصلي أو تترك الصلاة؟ هل هذا الدم طاهر أو نجس؟ وهكذا يوقعها في شك وحيرة حتى يبغض لها العبادة، ويكرِّهها في أدائها، أو يمنعها من الخشوع فيها بكثرة الفكر

---

(١) ينظر : فيض القدير ٤/ ٣٢٢

(٢) رواه : أبو داود(٢٨٧)، كتاب(الطهارة)، والترمذي(١٢٨)، أبواب(الطهاة).

(٣) ينظر : فقه السنة ١/ ٨٦

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٥٩

والوساوس؛ لأجل هذا كله جعل النبي – ﷺ– هذا الدم، وكأنه نازل من رحم المرأة بسبب ركضة شديدة من الشيطان، ترتب عليه انفجار رحمها، ونزول الدم منه مدرارًا.

إنها صورة رائعة معبرة، وهي استعارة تمثيلية استعارها النبي – ﷺ– لوساوس الشيطان لهذه المرأة، والتلبيس عليها في عبادتها، فهذا المعنى العقلي غير المحسوس جسده لنا النبي – ﷺ– في صورة محسوسة رائعة، صورة الشيطان، وهو يركض الرحم برجله حتى نزف منه الدم.

وقد أكد النبي – ﷺ– هذا المعنى بالأداة (إنما)؛ لكي يرسخ في عقول النساء مدى اغتنام الشيطان لهذه الفرصة منهن، حتى يلبس عليهن أمر دينهن، كما دلت هذه الأداة على معنى القصر، فالنبي – ﷺ– قصر دم الاستحاضة على كونه من الشيطان، لا من طبيعة الجسد على سبيل الادعاء، حتى يكون أبلغ في تحذير النساء من الانصياع لوسواس الشيطان، والسير وراء تلبيساته.

ومن العجيب أن بعض العلماء رجح أن الأمر على حقيقته[1]، وأن الشيطان يركض الرحم بالفعل حتى ينزف منه الدم، وهذا ضد المنطق والعلم والواقع، أما مخالفته للمنطق فلأنه ليس من المقبول عقلا أن يتسلط الشيطان على النساء بهذا الشكل المهين، إلى درجة أن يجعل أرحامهن تنزف دما، إن هذا ينافي التكريم الذي منحه الله – عز وجل– بني آدم على العموم ومنهم النساء، كما أنه مخالف للعلم الذي أثبت عللا طبيعية، وأسباب جسدية هي المسئولة عن هذه الاستحاضة، كما أنه مخالف للواقع؛ لأن كثيرا من النساء لا ينزل عليهن دم الاستحاضة، ولو كان الشيطان بالفعل هو المسؤول عن ذلك لعمت الاستحاضة نساء بني آدم على السواء، ولكن هذا لم يقع، فدل على أن الشيطان لا مدخل له في ذلك، وإنما هي أسباب جسدية إذا توافرت في امرأة نزل عليها دم الاستحاضة، وإن لم تتوافر لم ينزل عليها شيء.

إن مثل هذه الآراء تجلب على الدين أضرارا كبيرة، وترميه بالتخلف ومناقضة العلم والمنطق، مما يحمل كثيرا من الناس على الكفر به، والخروج منه، كما أن هذه الأراء تكون ذريعة لمهاجمته، والنيل منه من كثير من أعداء هذا الدين وكارهيه، إن الأخذ بحرفية النص، وفهمه فهما ظاهريا هو سبب هذه

---

(١) ينظر : شرح سنن أبي داود للعيني ٢/ ٦٩

الآراء، وإنما الفهم السليم المتوافق مع العلم والمنطق هو حمله على المجاز، هذا هو الأليق والأنسب، حتى نحمي ديننا من طعن الطاعنين، وكيد الكائدين.

الحديث الحادي عشر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ - يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ - إِلَّا بِبَابِهِ رَايَتَانِ: رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللهَ، اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ "[1].

الشيطان كما هو معروف يتسلط على الإنسان بالوسوسة، حيث يوسوس له بفعل الشر والبعد عن الخير، وعلى العكس الملك يلهمه فعلَ الخير والبعد عن الشر، وقد ورد في هذا المعنى ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ... الحديث[2]، وهذا مما يوضح لنا أن حمل كلٍ من الشيطان والملك راية ليس على حقيقته، وإنما هو استعارة تمثيلية لكل من وسوسة الشيطان وإلهام الملك.

إن هذه الاستعارة صورت وكأن هناك حربا بين الشيطان والملك، وكل منهما يرفع فيها رايته إظهارا لقوته، وإبرازا لشجاعته، فهي حرب حامية الوطيس للسيطرة على الإنسان، والتحكم في قلبه، فإذا فاز الشيطان بالمعركة ، فإنه يجعل الإنسان تحت رايته إيذانا بنصره، وإستيلائه على قلبه وعندها يزرع فيه الشر، ويغرس فيه الباطل، وإذا فاز الملك فإنه يرفرف على هذ الإنسان برايته علامة على النصر، وعندها يزرع في قلبه الخير، ويغرس فيه الحق.

---

(١) رواه : الإمام أحمد في المسند(٨٢٨٦).

(٢) رواه : الترمذي (٢٩٨٨)، أبواب (تفسير القرآن).

ونلحظ أن النبي – ﷺ– جعل الملك والشيطان واقفين على الباب بيد كل واحد منهما رايته، حتى يصور لنا مدى الاستعداد التام، والتحفز الكامل، وكأن كل منهما ينتظر صيدا ثمينا، أو كنزا نفيسا، وهذا لا شك له أثره في بيان حدة هذا الصراع، وإظهار سخونة أحداثه.

وقد قدم النبي – ﷺ– الملك على الشيطان إظهارا لكرامته، وعلو مكانته، وفي هذا إشارة للمخاطبين إلى أنه يجب عليهم اتباع الملك، وتنفيذ ما يلهمهم به من الخير، أما الشيطان فهو خسيس المكانة وضيع المنزلة؛ لذا عليهم أن يحذروه، ولا ينفذوا ما يوسوس لهم من الشر.

ما أجمل هذه الصورة التي جسدت لنا صراعا بين الخير والشر، بين الملك والشيطان، صراعا ترفع فيه الرايات، وترفرف فيه الأعلام، وما ساحة هذا الصراع إلا قلب الإنسان، وكل منهما يريد الظفر به والاستيلاء عليه.

وقد استخدم الصحابي الجليل سلمان الفارسي هذه الصورة بعينها، متبعا فيها النبي– ﷺ– حيث قال لأحد أصحابه ناصحا:" لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ، أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ"[1]. فقوله هذا يدل دلالة صريحة على أن مقصود النبي– ﷺ– من ذكره الراية في الحديث السابق، هو تصوير شراسة الشيطان في وسوسته للإنسان، وكأنه مقدم على معركة حياة أو موت مع هذا الإنسان.

(١) رواه : مسلم (٢٤٥١)، كتاب (فضائل الصحابة).

خاتمة البحث

وبعد هذه الرحلة الممتعة في رحاب الحديث النبوي الشريف أبين أهم النتائج التي توصلت لها في هذا البحث، وهي:

الأولى : الشيطان لا يقدر إلا على إغواء الإنسان، والوسوسة له، أما التسلط على جسده، والتحكم في عقله، أو إصابته بالخبل والجنون فهذا ضعيف جدا، وليس عليه أي دليل قوي من الشرع أو العقل.

الثانية : عدم الأخذ بظواهر الأحاديث إذا كانت تتصادم مع العقل تصادما صريحا، أو لا تتوافق مع حقائق العلم الحديث، التي لا مدخل للشك فيها، وإنما نحملها على المجاز.

الثالثة : من عادة العرب نسبة كل شئ مستقبح ومستبشع للشيطان، وقد جرى النبي – ﷺ– على هذه العادة في كثير من أحاديث هذه الدراسة، فنسب أشياء قبيحة للشيطان، لا على أنه فعلها، بل لأنه يتسبب في حدوثها، حيث يوسوس للناس بها، ويزين لهم الوقوع فيها.

الرابعة : معظم الأحاديث ورد فيها التعبير بلفظ الشيطان دون الجني أو العفريت؛ لأن لفظ الشيطان هو الأشهر في الدلالة على الشر، والبعد عن الخير؛ لأن مادته مأخوذة من الفعل (شطن)، أي: بَعُد، وهذا هو المناسب لأفعاله المستقبحة، وأحواله المستبشعة.

الخامسة : أكثر الأحاديث التي ورد فيها أسلوب التشبيه كان التشبيه فيها من قبيل التشبيه البليغ، المحذوف الأداة ووجه الشبه، مثل قوله: " الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ "، وقوله: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ "، وغيرها. وقد قصد النبي– ﷺ– هذا؛ ليكون أقوى في تأكيد المعنى، والمبالغة فيه.

السادسة : اقتبس النبي– ﷺ– صوره التشبيهية من البيئة المحيطة به، كقوله: " فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ"، وقوله:" إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ ". وهذا لاشك أبلغ في توضيح المعنى، وإبراز المراد.

السابعة : جمع النبي – ﷺ – في بعض صوره التشبيهية والاستعارية بين الطرافة والسخرية اللاذعة، كما رأينا ذلك في قوله: "إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَىٰ بِلَالًا وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَضْجَعَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُهَدِّئُهُ، كَمَا يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حَتَّىٰ نَامَ"، وقوله عمن نام عن صلاة الفجر: "بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ". ولا شك أن هذا الأسلوب الطريف الساخر يجعل المخاطب يأنف أن يقع في مثل هذا الأفعال، حتىٰ لا يصبح أضحوكة للناس والشيطان.

الثامنة : تأثر النبي – ﷺ – كثيرا بالقرآن الكريم في أساليبه وصوره البيانية، وقد رأينا ذلك في مواطن كثيرة من هذا البحث، مثل: استعارته: "وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ"، تأثر فيها بقوله – تعالىٰ – :﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ ... الآية ﴾[1]، وكذلك الاستعارة في قوله: "أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ..." تأثر فيها بقوله – تعالىٰ – : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[2]، وغير ذلك كثير مما ورد في هذا البحث.

التاسعة : نوع النبي – ﷺ – في تصويره للشيطان، فمرة يصوره في صورة المتسلل إلىٰ قلب الإنسان في خفة ولطف، مثل قوله: "إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ الشَّيْطَانُ، فَأَبَسَ بِهِ كَمَا يَأْبِسُ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ"، أي: تلطف بها حتىٰ تسكن إليه، وتنقاد له. وقوله: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ"، ومرة يصوره في صورة القوي العنيف، مثل قوله: "أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ"، وقوله: "اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ"، وفائدة هذا التنويع أنه يبرز بوضوح كيفية وسوسة الشيطان للإنسان وهي الخفة واللطف، كما يبرز قوة هذه الوساوس في تأثيرها علىٰ الإنسان، وفي دفعه إلىٰ فعل الشر.

---

(١) سورة : البقرة، آية: ٢٧٥

(٢) سورة : المؤمنون، آية: ٩٧

العاشرة: استخدم النبي- ﷺ- الاستعارة بنوعيها التصريحية والتمثيلية أكثر من استخدامه لأسلوب التشبيه والمجاز العقلي، حتى لتكاد تبلغ الأحاديث التي وردت فيها الاستعارة نصف أحاديث هذا البحث، وذلك لأن أسلوب الاستعارة أقوى في تأدية المعنى، وأبلغ في توضيحه، فهي تخيل لك الشيطان وكأنه هو من يقوم بالشيء على الحقيقة، ولا يقتصر دوره على الوسوسة، كما وظف النبي- ﷺ- الاستعارة في الإتيان بصور غاية في الروعة والإبداع، صور تجسد لك الشيطان أمام عينيك، وهو يفعل بالإنسان الأفاعيل، وهذه الصور الرائعة لا تتأتى بهذا الإبداع إلا عن طريق الاستعارة.

قائمة المراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانيا : مراجع أخرى.

١ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني ، ط: السابعة، ١٣٢٣هـ ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ٠

٢ - التحرير والتنوير ، للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور، سنة النشر:١٩٨٤ هـ الدار التونسية للنشر - تونس ٠

٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،: أبو العلا محمد المباركفوري الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة: بدون.

٤ - التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

٥ - حاشية السندي على سنن ابن ماجة، نور الدين السندي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة : بدون.

٦ - حاشية السندي على مسند الإمام أحمد، لأبي الحسن نور الدين السندي،المحقق/ أبو معاذ طارق عوض الله، الناشر: دار المأثور للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة:١٤٣١هـ.

٧- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان البكري الشافعي الطبعة: الرابعة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ٠

٨ - سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة : بدون.

٩ - سنن الترمذي، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر ، الناشر: مطبعة

مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م.
١٠- السنن الكبرى، للنسائي، حققه وخرج أحاديثه:حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١١- شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني ،المحقق: خالد إبراهيم المصري الناشر: مكتبة الرشد – الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م.
١٢- شرح صحيح البخارى لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض،الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٣- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)لشرف الدين الطيبي، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، ط: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م ، مكتبة نزار- مكة المكرمة٠
١٤- شرح النووي على صحيح مسلم المعروف بـ (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) للإمام النووي الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت٠
١٥- صحيح البخاري ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الطبعة:الأولى، ١٤٢٢هـ الناشر: دار طوق النجاة
١٦- صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي- بيروت٠
١٧- طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين العراقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة : بدون
١٨- عالم الجن والشياطين، المؤلف: عمر بن سليمان بن الأشقر الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت،الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١٩- عمـــــــــدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العينى، النـــاشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: بدون .

٢٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محـــــــــمد أشـــــــرف بن أمير العظيم آبادي، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ه .

٢١- فتح البارى شرح صحيح البخاري ٠ لابن حجر العسقلاني تصحيح: محب الدين الخطيب طبعة: ١٣٧٩هـ ٠ دار المعرفة – بيروت ٠

٢٢- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم،المحقق: د. محمد عبد المعيد خان الناشر: مطبعـــــــة دائرة المعارف العثمانيـــــــــة، حيـــدر آباد الدكن الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٢٣- فقـــــــــه السنة، سيد سابق ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

٢٤- فيـــــض القدير شرح الجامـــــــع الصغير،المؤلف: عبد الرؤوف المـــناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه .

٢٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنـزيل ، للزمخشري ،ط:الثالثة ١٤٠٧هـ ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ٠

٢٦- لسـان العـــرب ٠ لابن منظور، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ الناشر:دار صادر – بيروت ٠

٢٧- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبوالحسن عبيد الله المباركفوري الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامـــــــــــعة السلفية بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.

٢٨- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصـابيح ٠ للشـيخ:على القـاري الطبعـة: الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ٠ دار الفكر، بيروت – لبنان ٠

٢٩- مسند الإمام أحمد ،المحقق: شعيب الأرنـاؤوط وآخرون، الناشر:مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٠- معـالم السـنن، أبو سـليمان حمـد بـن محمـد الخطـابي، النـاشر: المطبعـة العلميـة - حلب،الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.

٣١- معـاني القرآن٠ للإمـام الفراء٠ تحقيق: أحمد يوسف نجاتى وآخرون، الطبعة: الأولى الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣٢- مـعاني القرآن وإعرابه، أبـو إسـحاق الزجـاج ،المحـقق: عبـد الجـليل عبـده شـلبي، الناشر:عالم الكتب- بيروت،الطبعة:الأولى ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

٣٣- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي، الناشر: مطبعة السعادة- مصر الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ.

٣٤-النهايـة في غريب الحديث والأثر، مجـد الـدين أبـو السـعادات ابـن الأثـير، تحقيـق: طـاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر:المكتبـة العلميـة بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٣٥- موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليـه: محمـد فـؤاد عبـد البـاقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

٣٦- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ه.